M. Mushāka

كتاب

اجوبة الانجيليين على اباطيل التقليديين

تاليف المعلم ميخائيل مشاقة

يعبدونني باطلاً ويعلّمون تعاليم ووصايا الناس

مرقس ص٧ ع٧

فان شرّين عمل شعبي تركوني انا ينبوع الماء الحيّ واحتفروا لانفسهم آباراً آباراً مشققة لا يمكنها ان تحفظ المياه

ارميا ص٢ ع١٣

فهرس

القسم الاول

في الاجوبة على اجزاء المجموع العشرة وخاتمته

القسم الثاني

في دعوى الكهنوت

بسم الله الحيّ الازليّ

الحمد لله الذي سبق فرسمنا لهُ بذخيرة البنين بيسوع المسيح كما استحسنت مشيئتهُ بمدح مجد نعمتهِ التي بها انعم علينا بابنهِ الحبيب الذي لنا الفداءَ بدمهِ وغفران الذنوب كغنى نعمتهِ. الحبر الوحيد الذي يشبه ملكيزداق الذي ليس مصنوعًا حسب سنَّة الوصية الجسدية بل حسب قوة الحيوة التي لا زوال لها. الذي بدم نفسهِ دخل مرةً واحدة الى القدس فوجد الخلاص الابدي ولم يدخل الى بيت قدسٍ عملتهُ الايادي شبه الحق بل الى السماءَ بعينها ليتراءَى الان عنا قدام الله. ولا ليقرب نفسهُ مرارًا كثيرة بل بقربانٍ واحدٍ اكمل الى الابد المقدَّسين. فنشكرهُ على غزارة مراحمهِ وجزيل احساناتهِ امين

اما بعدُ فيقول العبد الفقير الى الله الغني ميخائيل بن جرجس بن ابرهيم مشاقة المسيحي الانجيلي مذهبًا اللبناني مولدًا الدمشقي موطنًا انني في هذه الاثناءَ قد اطَّلعت على كتابٍ مجموعٍ عنوانهُ ذو اجوبةٍ سنية البراهين ضد اضاليل البروتستانتيين. ولم يذكر اسم مولفهِ بل يصف نفسهُ بانهُ احد خدام الكنيسة

البطرسية الاورشليمية وعضوٌ من اعضاءِ الاكليرس الخصوصي لغبطة اب الاباءِ ورئيس الرؤساءِ قدس السيد كيريوكيرِ مكسيموس بطريرك انطاكية واسكندرية واورشليم وساير المشرق الكلي الطوبى. وانهُ لما راى خدام الشيعة البروتستانتية يبذرون في حقل الرب بين قمح الايمان الجيد زوانًا نهايتهُ الحريق بالنار. وذلك بواسطة كراريسهم وكتيباتهم المطبوعة في مالطة وبيروت وغيرهما كي يخدعوا بها السذّج من الكاثوليكيين ان امكنهم. قد بادر مقتطفًا من سجلّ السيد البطريرك المشار اليهِ هذا المجموع المختصر الذي هو بعضٌ من اجوبة غبطتهِ عن بعض المسايل التي التُمِس منهُ حلّها في موضوعات مختلفة ضد ما اخترعهُ اصحاب الشيعة المذكورة من الاراسيس المهلكة النفوس. مقدمًا هذا المجموع لاخوتهِ الاعزاءِ ابناءِ الكنيسة الكاثوليكية ليزدادوا تمكنًا في ثباتهم على تعليم البيعة المقدسة الرومانية ام الكنايس كلها ومعلمتها الحقيقية. ويزيفوا بموجب فحواهُ اعتراضات هولاءِ المبدعين لعلهم يُقبِلون الى محجّة الحق اليقين. وان المجموع المذكور يحتوي على عشرة اجزاءٍ وخاتمة كما ياتي تفصيلها

عدد الاجزاءِ وعنوانها

١ منشور طوباويتهِ في دحض الاراتقة البروتستانتيين بخصوص العشر الوصايا الالهية وتكريم الايقونات المقدسة. بتاريخ ١٥ نيسان سنة ١٨٤٣

٢ جوابهُ ضد البروتستانتيين الزاعمين ان طلب شفاعة القديسين هو نوعٌ من عبادة الاوثان مخترع من البابا الروماني. بتاريخ ١٢ ادار سنة ١٨٤٧

٣ جوابهُ دحضًا للبروتستانتيين ان الاعتراف بالخطايا في منبر سر التوبة هو اختراعٌ بشري. بتاريخ نيسان سنة ١٨٤٧

٤ صورة الايضاح الذي اعلنهُ طوباويته ضد رسالة احد البروتستانتيين الى اكليروس سوريا. بتاريخ ١٥ نيسان سنة ١٨٤٧

٥ تبيان كثرة قوانين ايمان البروتستانتيين الموضحة اختلافاتهم في قواعد معتقدهم نفسهِ. بتاريخ ٢٢ نيسان سنة ١٨٤٧

٦ خبرية الكاهن مورات نظرًا لاتباعهِ ارتقة البروتستانتيين ورجوعهِ عنها ثم بعض حوادث تلاحظ هولاءِ الضالين. بتاريخ ٥ ايار سنة ١٨٤٧

٧ ايضاح في التوبة بحسبما هي فضيلة ادبية وبحسبما هي سر مقدس ثم في دحض ضلال البروتستانتيين بخصوصها وفيهِ ستة عشر عددًا. بتاريخ ١٨ حزيران سنة ١٨٤٧

٨ خبرية اعتناق الايمان الكاثوليكي المقدس من عشرة اشخاص معتبرين جدًّا من رعاة البروتستانتيين الذين لاجل اثنين وعشرين سببًا موردة منهم انفسهم قد رفضوا

اضا ليلهم وصاروا كاثوليكيين . بتاريخ ١ اب سنة ١٨٤٧

٩ جواب طوباويتهِ عن معنى القضية المدونة في قانون الرسل وهي شركة القديسين وكيف ان البروتستانتيين ينكرون هذه الحقيقة الدينية . بتاريخ ١٩ ايلول سنة ١٨٤٧

١٠ اجوبة عن عدة سوءالات بخصوص رسم اشارة الصليب المقدس وفي لماذا البروتستانتيون يرفضون استعمال هذا الرسم المقدس . بتاريخ ١٧ ايلول سنة ١٨٤٧

١١ الخاتمة خطاب نحو القارئين لهذا المجموع ان كانوا من ابناء كنيستهِ ليتخذوا منهُ السندات الراهنة ضد مخالفيهم وان كانوا من البروتستانتيين فهو نصيحةٌ لهم

فبعد وقوفي على كل ما احتواهُ هذا المجموع لم اجد فيهِ برهانًا صحيحًا لاثبات مدَّعياتهم او دحضًا لمخالفيهم او تعليمًا موافقًا لروح شريعة المسيح . بل وجدتهُ كغيرهِ من تاليفاتهم بهذا الخصوص مملوًّا من الهذر بالقذف والتشنيع على مخالفيهم . ومن الاجتهاد في تمكين سلطنهم الموهومة باستنادات سخيفة لو نُقِدَت بعينٍ غير عمياء من روح التعصب ضد الحق لوُجِدَت اوهن من بيت العنكبوت . لان بعضها ما يكررونهُ في محاورتهم من بعد دحضهِ بالاجوبة المفحمة سادّين آذانهم ليلا يسمعوا صوت الحاوي . ومنها ما لا يتعلق باثبات مدَّعياتهم . وقد صدقت عليهم شروط المحاولة الاربعة . فانهم ينكرون ما عليهم ويدَّعون بما ليس

لهم ويستشهدون المولى وان لزمهم اليمين يستمهلون الى ان يُرى في القضية . وكان يجب عدم التكلف لمجاوبتهم ولكن بما انني من الجهة الواحدة وجدت عموم بلوى البسطاء بوبال فرط التصديق لما يلقيهِ اليهم روساؤهم بدون فحصٍ ولا تروية . ومن الجهة الاخرى ان هذا المؤَلّف لم يجعل حدًّا لافترآيهِ وقذفهِ ضد كنيسة المسيح الحقيقية الموسسة على تعاليم الكتب الالهية المطهرة من جميع اقذار معلمي الزور الذين هو يستند اليهم . وكان ما طُبِع في بيروت رسالةٌ الّفتها قبل هذه في تفنيد عقايدهم الزايغة . وجب عليَّ الاخذ بقول الحكيم جاوب الغبيَّ على غباوتهِ ليلا يظنَّ نفسهُ حكيمًا . (١) وان اتبع تعليم المغبوط بطرس الرسول القايل كونوا مستعدين في كل حين لمجاوبة من يسالكم عن الكلام من اجل الرجاء الذي فيكم ولكن بالتواضع والمخافة بنيَّةٍ صالحة ليخزوا فيما هم يسبُّونكم اوليك الذين يظلمون تقلبكم الصالح بالمسيح (٢) ولذلك شرعت في تاليف هذه الرسالة المختصرة وسميتها اجوبة الانجيليين على اباطيل التقليديين . ورتبتها على مقدمة وقسمين وخاتمة وكل قسم منها يشتمل على فصولٍ . فالقسم الاول في تفنيد ما هذر بهِ صاحب المجموع . والقسم الثاني في دحض كهنوتهم وسلطانهم الموهوم

(١) امثال صَ ٢٦ عَ ٥ (٢) بطرس اولى صَ ٣ عَ ١٥ و ١٦

المقدّمة

ان روساء الشيع النصرانية الخارجين عن الحق يجتهدون دايمًا في تحويل معاني كلام الله عن مفادهِ اللغوي الواضح الى ما يوافق اضاليلهم . ويوجهون عنايتهم الى تغميض اعين الشعب ليعموا بصايرهُ عن روية ما يخالف اراءهم الزايغة ويطمسوا افكارهُ كيلا يفهم شيـًا غير ما يلقونهُ اليهِ من غرايب اختراعاتهم

ولما كانت الكتب المقدسة هي المصباح الذي يضيء لنا في ظلام الضلالة وبها نهتدي الى معرفة الحق حسبما علّمنا بطرس الرسول بقولهِ وعندنا كلام الانبياء اثبت ففعلتم جميلاً اذا نصتم لهُ كانهُ لسراجٍ منيرٍ في موضعٍ مظلمٍ [1] قد وجد الروساء المذكورون ذواتهم بين خطرين . فان تركوا الشعب يطالع الكتب المقدسة ويتفهم معانيها تفتضح لديهِ اباطيلهم وتُرفَض تعاليمهم وتُكسَر شوكة سلطنتهم . واذا انكروها واعدموا وجودها فهم مفتقرون الى اتخاذ سند ولايتهم منها . ولذلك اضطرّوا الى ابقايها ووجّهوا قوة السنتهم واقلامهم لاقناع الشعب بالاقيسة السفسطية انهُ لايسوغ لهُ ان يفهم شيـًا من معانيها الا بحسب تفاسيرهم . وانهُ لايجوز للعوام مطالعتها بدون اذن الروساء ومن تجاسر على الخلاف يُعاقَب بالسجن والضرب وسلب المال كما

(١) بطرس ثانية ص١ ع١٩

هو محدَّدٌ في المجامع البابوية . ولهذا صارت الكتب المقدسة بايديهم طلسمًا سريًا يخضعون بهِ عقول الشعب لتصديق خرافاتهم . وانهُ من كنيستهم فقط يلزم ان يُعرَف الحق . الامر الذي لايليق بعاقلٍ تصديقهُ اذ الكنيسة تُعرَف بتعاليمها لا التعاليم بالكنيسة . فاذا عرفنا الحق نعرف اهلهُ . وبما ان تعاليم مخالفينا مغايرة للكتب المقدسة لاتكون كنيستهم كنيسة المسيح

فهذا الوبال قد تدرّج اليهم حينما دخل حب الرياسة على خدام الانجيل فحادوا بذلك قليلاً عن طريق الاستقامة وزاد تباعدهم عنهُ رويدًا رويدًا مع تمادي الاجيال . وكلما عارضهم من يصدُّ جماحهم يعقدون مجمعًا على صورة ان يصلحوا ما فسد ويمكّنون فيهِ حصون سلطنتهم ويسندون ما اشرف على السقوط ويجددون القوانين لترقية شان رياستهم . وما زالوا يتباعدون عن طريق الكنيسة المستقيم كوتر زاويةٍ حتى لم يعودوا يرونها الا من بعدٍ بعيد . وتالف لهم من مجامعهم تلمود نصراني ليس باقلّ اعتبارًا من تلمود اليهود ليسلكوا بموجب احكامهِ صارفين النظر عن الاحكام الانجيلية . وبذلك صاروا شيعةً مولفة من مذاهب شتى . فترى عندهم الاحبار والكهنة والذبايح كاليهود . وعبادة المليكة والبشر والمسبوكات والمنحوتات والتصاوير كالوثنيين . واحترام النيران والانوار كالمجوس . والايمان بالمسيح وسرّي المعمودية والافخارسنيا كالمسيحيين . وبالجملة

قد آل امرهم الى اتعس حالةٍ يحقّ البكآء عليها بمراثي ارميا القايل كيف اسودّ الذهب تغير اللون الحسن. (١) فنسالهُ تعالى ان يتحنن عليهم وينزع منهم القلوب الصلدة ويعطيهم قلوبًا لحمية لينبذوا عنهم تقليداتهم الباطلة التي نقضوا وصايا الله لاجل حفظها. (٢) وينتبهوا لخلاص نفوسهم ولا يكونوا هم الذين قال المخلص نحوهم الويل لكم لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فانكم لستم تدخلون ولا تتركون الداخلين ان يدخلوا. (٣) ويحفظنا من خداعهم ويثبتنا على التمسك بوصاياهُ الالهية . انهُ على كل شيءٍ قدير وبالاجابة جدير

(١) مراثي ص٤ ع١ (٢) مرقس ص٧ ع٧ (٣) متى ص٢٣ ع١٣

القسم الاول

في الاجوبة على اجزآء المجموع العشرة والخاتمة وفيهِ احد عشر فصلاً

الفصل الاول

في دحض ما يحتجّون بهِ على وجوب حذفهم الوصية الثانية من وصايا الله العشر الناهية عن اتخاذ الصور والتماثيل

ان غبطة السيد مكسيموس كثيرًا ما يعتمد في ان قولهُ تعالى لا تتخذ لك صورة الى اخرهِ جزءٌ من الوصية الاولى بدلاً من قولهِ لا يكن لك الهٌ اخر غيري على عدم وجود واو النسق بين هذه الجملة والتي قبلها وبناءً على ذلك لا يمكن ان يكون هذا القول وصيةً قايمة بذاتها . ولكن اذ وقفنا على ذلك راجعنا حالاً الاصل العبراني طمعًا في ان كلام غبطتهِ اذ هو مبني على التدقيقات اللغوية لابد من مراجعتهِ الاصل فيها . وبعد المراجعة وجدنا ان الواو التي يطلبها لتمييز الوصايا بعضها عن بعضٍ مفقودةٌ في بداية كل وصيةٍ . وعلى ذلك اما ان نعتقد بان العشر وصايا عند الجمهور انما هي وصية واحدة بالحقيقة واما ان

ننكر على غبطته الضابط الذي وضعهُ من جهة لزوم الواو والذي ليس لهُ اصلٌ في علوم العرب او اصطلاحهم وجوبًا. هذا واننا لانعلم كيف فاتهُ ان الترجمة العربية بحسب الاصل تترك الواو والمبني عليها برهان غبطتهِ فلا تقرأ ولا تقتل ولا تزنِ ولا تسرق بل لا تقتل لا تزنِ لا تسرق. فهل يعتقد سيادتهُ ان هذه الوصايا بدلٌ من بعضها لعدم وجود الواو بينها. وقولهُ ايضًا ان الواو في قولهِ تعالى ولا تشتهِ امرأتهُ تعين هذه الجملة مع ما بعدها وصيةً قايمة بذاتها فاسدٌ بالكلية نظرًا الى ما تقدم فضلاً عن عدم وجودها في الاصل

واذ تقرر ذلك نقول انهُ قد خاب املنا في علم غبطتهِ الشهير. لاننا نراه اذا اراد ان يستشهد النحو او البيان يغلط غلطًا جسيمًا. وهكذا في التاريخ لانهُ ينتج اسم بروتستانت من عدم قبولهم لتحديدات المجمع التريدنتيني مع انهم لقبوا بهذا الاسم عند تقديمهم البروتستا الشهيرة باوكسبرج في ٩ نيسان سنة ١٥٢٩ وذلك قبل المجمع المذكور بسبع عشرة سنة. فلا نعلم ان كان ذلك ناتجًا عن قصورهِ في العلوم او عن الخزاين التقليدية التي لايوجد شي في العالم الا وهو يتحصّل منها لفايدة الكنيسة البابوية

واما استشهادهُ بمبادي علم الاداب والذمة ليجعل الوصيتين الاولى والثانية واحدةً والاخيرة اثنتين فذلك لايُقنِع الا من كان عابدًا للانطوين وفاهمًا معناهُ. واما نحن فلا نتجاسر على الدخول

في هذا الباب المظلم لئلا نتهوَّر في اودية اللاهوت الادبي التي لاقرار لها. واذا تجاسرنا فلا نعلم كيف نخرج أَهو جانسنيين ام يسوعيين (الذين لاهوتهم الادبي خبيثٌ الى الغاية كما لايخفى غبطته) ام فرنساويين لايعتقدون بعصمة البابا وحدهُ ام ايطاليانيين يعبدون البابا ام من فرقةٍ اخرى من الوف الفِرَق التي توجد في الكنيسة الواحدة الحافظة وحدة الايمان الكاثوليكي المقدس الى اخرهِ من الالقاب التي شاءوا ان يلقبوا كنيستهم بها والتي هي بعيدةٌ عنها كبعدها عن تعاليم الانجيل النقية

هذا وان كنيسة اليهود التي تسلّمت العشر وصايا من يد موسى النبي وحافظت عليها الى حد الان تعتبر قولهُ لاتتخذ لك صورة الى اخرهِ وصيةً ثانية. وهكذا كنيسة الروم الاكثر قدميةً وعلمًا من كنيسة اللاتينيين تعتبرها وصيةً ثانية لا بل كتاب السواعي المطبوع بيد كاثوليكية حلب يعدها وصية ثانية. وهكذا الاباء القدماء يقررون ان اللوح الاول كتبت فيه الاربع وصايا المختصة بالله. فلو جعلنا الثانية مع الاولى واحدة لصارت الوصايا المذكورة ثلاثًا. واما القول بانهُ يوجد في اللوح الاول ثلاث وصايا فهو قول المتاخرين من لاهوتية رومية

فاذًا مهما اجتهد غبطته وغيرهُ من متملقي الباباوات في استعمال قوة افكارهم باختراع الاحتجاجات لايكون سعيهم الا في تكذيب الكتب المقدسة واقوال الاباء القدماء ولا يجدون

يريد مخالفونا ان يتخذوا نموذج هذا التعليم عن هالكٍ عاش بالمآثم واستقرَّ في جهنم مع الشياطين. واما الاستنادات السخيفة التي يتوكأون عليها وينتجونها من آياتٍ في الكتاب مع ان صريح معناها لا يفيد ما يزعمونهُ فقد تفنَّدت بايضاحٍ في الباب السادس من رسالتنا الموسومة بالدليل. ولا يلزمنا الالتفات الى هذرهم بعد سماعنا من فم المخلص انهُ لا يقدر احدٌ ان ياتي الى الاب الا بهِ. وهكذا بطرس الرسول يعلمنا انهُ ليس بغير المسيح خلاصٌ(١) فنحن نعلم ونعتقد ان وساطة السيد المسيح وحدهُ كافية لخلاصنا وانهُ يقدر ان يخلص كل الذين يتقربون الى الله على يدهِ حسب تعليم بولس الرسول(٢) فاذا كان مخالفونا يعتقدون عجز المسيح عن خلاصهم ويلقون اتكالهم على المخلوقات فنحن نرفض ذلك بالكلية ولكن نرجوهم فقط ان يكفُّوا عن ملامة من لا يتبع ضلالهم

واما تكريم القديسين الواجب لهم فنحن نعرفهُ ونكرمهم بحسبما يليق بمقامهم. وهم لا يقبلون منا ان نطلب منهم ما يلزم ان نطلبهُ من المسيح بل هذا يغيظهم جدًّا. واذا كانوا يصلُّون لاجل الكنيسة فلا ينتج من ذلك وجودهم في كل مكانٍ ليسمعوا طلباتنا اذ انهم بشرٌ مثلنا. نعم لو وُجِدوا بيننا لكنَّا نلتمس منهم ان يصلُّوا لاجلنا. فيلزمنا حسب تعليم بولس الرسول ان نحتفظ على التعليم

(١) ابركسيس ص٤ ع١٢ (٢) رومية ص١٧ ع٢٥

لانفسهم عذرًا الا ان يكون اقبح من ذنبهم بان يقولوا انهم عرفوا الكتب المقدسة ومعانيها على نوعٍ مخالفٍ لما عرفهُ موسى النبي والاباءُ الاولون. ولا يخفى ما في ذلك من الجسارةِ ضد تعاليم الانبياءِ والاباءِ القدماءِ

واذ تقرر بالكفاية غلط غبطتهِ في اخص التعاليم الالهية وانهم مخالفون وصية الله بعنادٍ صوري فلمثل هذه الكنيسة التي يجهل معلموها وصايا الله لا يسوغ لمولف المجموع ان يدعو الناس اليها بل يجب عليهِ ان كان يخاف الله ان ينادي اخرجوا منها يا شعبي ليلا تشاركوا خطاياها(١)

الفصل الثاني

في الرد على ما زعمهُ من شفاعة القديسين

ان الكتب المقدسة تعلّمنا ان الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد لا اكثر وهو يسوع المسيح(٢) وهكذا السيد المسيح قد علمنا بقولهِ انا هو الطريق والحق والحيوة لا ياتي احدٌ الى الاب الا بي(٣) فقد نفى بذلك كل واسطة. وعدا ذلك فالاستشفاع بغيرهِ يستدعي تعليمًا واضحًا بنص الكتاب المقدس ولم نجد فيهِ سوى تضرع الغني الهالك الى ابرهيم الذي لم ينفعهُ بشيء. فهل

(١) رويا ص١٨ ع٤ (٢) تيموثاوس اولى ص٢ ع٥ (٣) يوحنا ص١٤ ع٦

الذي استودعناهُ من الانبياَء والرسل ونهرب من بدع الاصوات النجسة ومخالفات العلم الكاذب فان الذين اعتقدوا بهِ قد ضلّوا عن الايمان" (1) وقد استغربت كثرة استشهاد غبطتهِ باقوال المعلم اوريجانوس مع ان كنيستهم تحرمهُ

واما الشهادات التي يوردونها من اقوال الاباَء هل هي صحيحة النقل وهل مولفات الاباَء باقية كما كتبوها بدون تحريفٍ فهذا ياتي الكلام عليهِ

الفصل الثالث

في الاعتراف للكهنة

قد تكلمنا على هذه القضية وفصّلناها بالكفاية داحضين ادلّتهم السقيمة التي يتوكأُون عليها في الباب السابع من رسالة الدليل موضحين الاضرار الروحية الناتجة منها فمن اراد الوقوف على ذلك فليراجعها. ولكن هنا نورد ملاحظات لذوي العقول لا للذين طمس معلومهم على قلوبهم وابصارهم كيلا يفقهوا او يبصروا شيئًا. فنسال الكهنة المدّعين بجوزهم سلطان مغفرة الخطايا نرى اذا كان المسيحي في خطر الموت والكاهن لم يلحقهُ

(1) تيموثاوس اولى ص٦ ع٢٠ و ع٢١

لعذرٍ اصابهُ مثل كونهِ سكران او ان كلبًا نهشهُ في رجلهِ ومن ثمَّ توفي تايبًا بدون حلَّة الكاهن فهل لا تكفيهِ التوبة ويذهب الى ابدية عذاب جهنم لان حضرة ابينا الخوري كان منهمكًا في سكرهِ او لتعذرهِ عن سرعة المشي بداعي نهشة الكلب ام كيف الحال

ثم اذا كانت الخطية لا تنحلُّ الا بحلَّة الكاهن فيلزم انها لا ترتبط الا برباطهِ لان حكم الكلام في الحل والربط هو واحدٌ. فاذا كانت الخطية لا تترك حتى يعرفها الكاهن ويتركها فيلزم ان لا تمسك حتى يعرفها ويمسكها فاذًا خيرٌ للخاطي ان يخفيها حتى لا تلحقهُ جريرتها لانها ما دامت مجهولةً من ابوتهِ لا ترتبط عليهِ في السماَء ويخلص من امرين موبقين احدهما ثقل القانون الذي يفرضهُ عليهِ. والثاني ما يبقى عليهِ مما يسمونهُ قصاصها الزمني الذي لا يغسلهُ دم المسيح ويحتاج ان يفيه بعد موتهِ بعذاباتٍ قادحة بالنيران المطهرية حتى ينقذهُ منها الكهنة بعد استيلاَئهم على ما تطيب بهِ خواطرهم من مال تركتهِ عن اجرة قداديسهم وجنازاتهم وما اشبه

واذا قالوا لا بل ان الخاطي يرتبط بمجرد ارتكابهِ الخطية ولو لم يربطها الكاهن فنجيبهم يلزم من ذلك ايضًا انهُ بمجرد توبتهِ برحمةُ الله ويحلُّهُ منها ولا ينتظر حلَّة الكاهن لان القضيتين ورد عليهما النص بقياسٍ واحد. هذا وان الله تعالى قد علمنا بلسان حزقيال

النبي ان البار يعدم برهُ بخطيئةٍ واحدة والخاطي ينجو بالتوبة(١) ولم يعلّق الخلاص على حلة الخوري

واما استغراب غبطته واستعماله الفاظ الزجر نحو من لا يسلّم بكل ما يهذرون بهِ كقولهِ انهُ يستغرب كيف ان اعين الضالين لم تبصر تلك العبارات التي اوردها المدونة في الكتب المقدسة المشيرة الى الاعتراف مع درسهم فيها باجتهادٍ فيتجرأون ان يقولوا ان الكتب المقدسة لا تذكر الاعتراف . فنحن لا نُعذَر اذا لم نتحمّل منهُ ذلك اولاً لاننا مامورون باحتمال افتراء مقاومي انجيل المسيح . ثانياً لاننا نعلم ان المتغلب على ولايةٍ لا بد لهُ من المدافعة عنها واذا نظر الى حصونهِ قد تداعت شوامخها فلا بد من اضطراب طبعهِ لاشراف مملكتهِ على الدثار . ولهذا نجيبهُ بروح الوداعة موضحين ما يمكن ان يُفهَم من مضمون الايات التي استشهد بها . وبما ان غبطتهُ من مشاهير العلماء يُطلَب منهُ ان يثبت تفاسيرهُ بالادلة الصريحة لا ان يتوكأ على ما تريد كنيستهُ ان تفهمهُ بحسبما يوافق غرضها بزعمهِ انها عمود الحق . اذ لا يغرب عن فطنتهِ ان مخالفيهِ ليس ينكرون عليها كونها عمود الحق فقط بل يشكّون في كونها من كنايس المسيحيين او ربما يوقنون انها بابل الرويا . وان دعواهم هذه نعتبرها تمليقاً منهم على ابيهم الاقدس يستميحون بهِ رضى خاطرهِ

(١) حزقيال ص٣٣ ع١٢ الى ع٢٠

فنجيب على ما تقدم ونقول ان اعظم ما يسندون ولا يتهم عليهِ هو قول المسيح لتلاميذهِ كل ما ربطتموهُ على الارض يكون مربوطاً ايضاً في السماء وكل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولاً ايضاً في السماء(١) فالواضح من نص الانجيل ان هذا القول كان نحو عموم المومنين عندما يخطي المومن ضد اخيهِ . وانني اذا عاتبت اخي وسمع مني فلا جناح عليهِ وان لم يسمع مني ولا من اثنين ولا من البيعة فاحسبهُ كوثني وعشّار . وحينئذٍ يرتبط في السماء لاصرارهِ على ذنبهِ لا من رباط الكهنة الموهوم . لان كلام المسيح كان نحو تلاميذهِ الذين هم عموم المومنين ولا يتبين منهُ انهُ كان مع الاثني عشر رسولاً فقط . ومن المعلوم ان المومنين جميعهم كانوا يُسمَّون تلاميذ ولم يتخذوا اسم مسيحيين الا في مدينة انطاكية بعد صعود المخلص . ولذلك نقرأ عبارة المخلص من بدايتها هكذا ان اخطأ اليك اخوك فاذهب وعاتبهُ وحدكما . فان سمع منك فقد ربحت اخاك . وان لم يسمع منك فخذ معك واحداً او اثنين لتقوم كل كلمةٍ من فم شاهدين او ثلثة شهود . وان لم يسمع منهم فقل للبيعة . وان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كوثني وعشّار . الحق اقول لكم ان كل ما ربطتموهُ على الارض الى اخرهِ . واقول لكم ايضاً ان اتّفق اثنان منكم على الارض في كل شيء يطلبانهِ يكون لكما من قِبَل ابي الذي في السموات . لان حيثما يكون

(١) متي ص١٨ ع١٨

اثنان او ثلثة مجتمعين باسمي فانا هناك في وسطهم . حينئذٍ تقدم اليهِ بطرس وقال يارب كم مرةً يخطي اليَّ اخي واغفر لهُ أحتى سبع مرات . قال لهُ يسوع لست اقول لك الى سبع مراتٍ بل الى سبعين مرة سبع مرات . فهذا القول لا يُستدَلُّ منهُ على تقليد سلطان مغفرة الخطايا لا لقسوس الكنايس ولا للرسل انفسهم . ولا يُستدَلُّ منهُ على التزام الخاطي بالاعتراف للقسوس . ولا ان المغفرة تكون منهم اذ لو سمع اخي مني لما لزم توسُّط البيعة . والكهنة يزعمون ان المذنب هو الملتزم بالشكاية على نفسهِ ليحلُّوهُ او يربطوهُ . واما الانجيل فيعلّم بخلاف ذلك ان صاحب الحق يقدم الشكاية على المذنب . فينتج من هذا ان المراد بذلك رفع الدعوى بين المتخاصمين كما الى محكمةٍ لتفصل بينهما بوجه الحق . وان الذي يعصى على الشريعة يُحسَب كوثني وعشار غير خاضع للشريعة . والمسيح قد بيّن لنا في كلامهِ ان هذا الربط وهذا الحلَّ لم يكن بسلطانٍ لاشخاصٍ معينين بل بمجمعهُ بطلبة المومنين حيث قال عقيب ذلك ان اتّفق منكم اثنان او ثلثة يكون لكما ما تطلبانه . وبطرس الرسول نفسهُ لم يفهم كلام المسيح كما يريد غبطتهُ الان ان نفهم منهُ لانهُ بعد نهاية كلام المخلص سالهُ كم مرةً يغفر لمن يخطي اليهِ . فلو كان هذا الرسول فهم من كلام المخلص انهُ قلّدهُ مغفرة الخطايا لكان يسالهُ الى كم مرة يغفر للخاطي ما جناهُ ضد الله والناس لا ضده فقط . وهل انهُ ابقى لنفسهِ محفوظاتٍ

ليستشيرهُ في حلها كما يفعل غبطتهُ وامثالهُ مع قسوس الكنايس اذ يمنحونهم بعض السلطان ويحفظون لانفسهم بعضهُ

ثم اذا انكروا علينا بان كلام السيد لم يكن مع عموم المومنين فيكون هذا الاعتراف وهذا الحلُّ والربط خاصًّا بالاكليروس ولا مدخل بذلك لباقي المومنين . وان سلّموا لنا بكونهِ مع العموم واوجبوا السلطان فيكون مشتركًا بيننا وبينهم ويلتزمون ان يعترفوا للشعب ويقبلوا منه الحلَّ كما هو يقبلهُ منهم

ثم اذا سلّمنا لهم بان كلام المخلص كان نحو الرسل فقط وانهُ اعطاهم سلطان حل الخطايا وربطها فلا يفيد ذلك المعنى الذي استاقوهُ اليهِ قسرًا بان يحصروا مغفرة الخطايا تحت سلطان الاكليرس . لان عبارة السيد تبعيضية لا توجب الحصر حيث لم يقل لهم كل من لم تتركوا لهُ خطاياهُ لا تترك لهُ . بل قولهُ تعالى في هذه القضية هو كقولهِ اشفوا المرضى اقيموا الموتى . فكما ان هذا القول لا يحصر شفاءَ المرضى واقامة الموتى تحت سلطانهم بان لا يشفى مريض حتى يشفوهُ ولا يقوم ميت حتى يقيموهُ هكذا كلامهُ تعالى عن ترك الخطايا ومسكها . فلا يلزم ان لا تترك الا بتركهم كما لا يلزم ان تبقى غير مربوطة حتى يربطوها . فمع عدم هذا اللزوم يصح ان الخطايا تترك وتمسك بدون واسطة الرسل كما ان المرضى يشفون بدون واسطتهم

فاذا كان هذا السلطان قد أُطلِق للرسل بدون حصر

فالنتيجة كلية الوضوح انهُ كان يوجد وجهٌ اخر لغفران الخطايا بدون استعمال سلطانهم في حلها. وحيثما وجد وجهٌ اخر لحلّها مع وجود الرسل لم يُعد هذا الحل ضرورياً بضرورة الواسطة. واذا كان الخلاص يتوقع بدونهِ فليس بضروري ان يُحصَر حلُّ الخطايا من بعد الرسل في قسوس الكنايس حتى ولا يلزم ان يكون لهم هذا السلطان. والرسل انفسهم لم يستعملوا هذا الحلّ قط ولا قالوا لاحدٍ انا احلُّك او فلتكن خطاياك مغفورة. لكن غاية ما قالوا للخاطي تب الى الله لعلهُ يغفر لك. ولا قالوا نحو القسوس كلاماً يفيد انهم قلدوهم سلطاناً على مغفرة الخطايا التي لا يقدر عليها الا الله وحدهُ. وهل يليق وجود هذا السلطان في يد اناسٍ ذوي سيرةٍ ملومة كما نرى حالة كثيرين من هذه الطغمة. لا اظن ذلك

ولكون هذه القضية هي جرثومة الضلال فلا بد من اطالة الكلام فيها نوعاً تنبيهاً للغافلين الذين وضعوا ضماير عيالهم تحت ادارة فتيان الاكليرس الغير المتزوجين. ونضرب لذلك مثلاً لو ان الملك اذنبت اليهِ رعاياهُ في مدينةٍ ولرحمتهِ لم يعجّل قصاصهم بل ارسل لهم منشوراً بيد احد وزرآيهِ لينادي بينهم ان يسلكوا بالشروط المندرجة فيهِ ويغتنموا الصفح. فقبلوهُ وسجّلوا المنشور عندهم وسلكوا بمقتضاهُ. فاقام عليهم الوزير وكيلاً وسلّمهُ صورة الشروط ليحكم بمقتضاها ورجع الى سيدهِ. فهذا الوكيل

بعد سفر الوزير حجز منشور القوانين عندهُ ومنع الشعب عن مطالعتهِ وصار يتأول معانيه حسب مشيئتهِ. وحكم بان الرعية لا يجوز ان تفهمهُ الا كتأويلهِ. واحدث قوانين لم تكن مرسومة من الملك. وحتم بالموت على من يخالفها. وادّعى الولاية المطلقة ليس على محل وكالتهِ فقط بل على جميع المملكة حتى على المدينة التي فيها الملك نفسهُ. وان الملك لا يمكنهُ السماح لمذنبٍ بدون سماحهِ اولاً. فهل يليق بعاقلٍ ان يصدّق هذا الوكيل ويعتقد بحق ولايتهِ

هذه هي واقعة حالنا مع البابا الروماني واعوانهِ. فانهُ ادّعى الولاية المطلقة في السمآء والارض. ومنع الكتب المقدسة عن العوام. وتأوّلوا معانيها بمقتضى اهوآيهم. والزموا الشعب بالرضوخ لتفاسيرهم الملتوية. ورسموا قوانين لم يرسمها الباري تعالى وجبروا الرعية على قبولها. وحتموا على من يخالفهم بالعذاب وسلب المال حتى بالقتل ايضاً. واذا لم يقدروا على انفاذ قساوتهم البربرية فيهِ يرسلونهُ ليتعذب في ابدية جهنم. وحكموا ان الخالق الرحوم لا يغفر لمجرمٍ حتى يغفروا لهُ اولاً ويكون سماحهُ تعالى بالتبعية لسماحهم. فلا اعلم كيف هذه الاباطيل طال سلوكها على كثيرٍ من الناس. حتى انهُ الى عصرنا هذا وان كان اكثر كاتوليكية اوروبا لا يصدقون هذه الخرافات يوجد كثيرٌ من المغفلين لم يفتحوا اعين اذهانهم ليروا الحقايق ويرفضوا هذه

الاضاليل المهلكة

واما استغراب غبطته كيف ان اعين الضالين لم تبصر كلمة الاعتراف في الكتب المقدسة مع قراءتهم فيها باجتهادٍ فسيادته استغرب ما كان يجب ان لا يستغربهُ حيث يسميهم ضالّين لان الضلال نتيجة عدم البصيرة. ولكن الاستغراب من ان سيادتهُ حال كونهِ من المهتدين ذوي البصيرة لم يبصر ولم يفهم نصوص الكتب المقدسة الواضحة كما يجب ان نفهمها بل يحوّلها الى معانٍ بعيدة عن مدلولها. فنحن لا ننكر وجود كلمة الاعتراف في الكتب المقدسة كزعمهم بل ننكر وجوب الاعتراف للبشر الذين هم خطاة مثلنا وطلب المغفرة منهم. لاننا نقرأُ في الكتاب المقدس اعترفوا للرب واعترف لك يارب فلا يمكننا ان نفهم ان الرب هو غبطته او احد قساقسته لكي نعترف لهم. فاذا كان سيادته يعتقد ان كنيستهُ هي القاضي على معاني الكتاب فنحن نعتقد ان الكتاب هو الذي يحكم على ضلالها وضلال روسائها ولا نعرف ولايتها على كتاب الله. وبما ان غبطته استند على بعض آيات من الكتاب وفسّرها كمشيئتهِ يلزم ان نوضحها وننظر هل تفيد ما يزعمون

فمما استشهد بهِ غبطتهُ ما ورد في الابركسيس ان كثيرين من الذين آمنوا كانوا ياتون يقرّون ويعترفون بما كانوا عملوا "(١)

(١) ابركسيس ص ١٩ ع ١٨

فنجيب عن ذلك اولاً ان هذه العبارة تبعيضية لا تفيد التعميم لانهُ يقول كثيرين من الذين امنوا لا جميعهم حتى ولا اكثرهم فان عشرة او ماية يقال عنها كثير ولو كان الجمهور الوفا. وبمقتضى تعليم غبطته ان الاعتراف للقسوس واجبٌ على جميع افراد المومنين ولا يمكنهم الخلاص بدونهِ وهو ضروري للخلاص بضرورة الواسطة لا بضرورة الوصية. فكيف كان يكفي اعتراف بعض المومنين ويسمح عن الباقي. ثانيًا هذه العبارة لا تفيد انهم كانوا يعدّدون مفردات خطاياهم للكهنة في منبرٍ سري كما يطلب غبطته من المسيحيين. ثالثًا اننا نرى في الكتب المقدسة كلامًا اوضح من هذا يتعلق بالاعتراف وغبطته لم يستشهد بهِ ويحوّلهُ الى المعنى الذي استعبد اليهِ الشهادة المتقدمة. فمن ذلك ما ورد في الانجيل عن يوحنا المعمدان اذ يقول كانوا يخرجون اليهِ اهل اورشليم وكل اليهودية وجميع كورة الاردن (ليس بعضهم) فكان يعمدهم في الاردن معترفين بخطاياهم (١) فعلى موجب تفسير غبطته يلزم ان نفهم ان يوحنا كان قسيسًا كاثوليكيًّا يربط الخطايا ويحلّها في منبر اعتراف سري. وهكذا يلزم ان نفهم ان ملك نينوى كان خوريًا لاننا نقرأُ في سفر يونان النبي ان الملك المذكور نادى على اهل نينوى بالتوبة ونالوا مغفرة الخطايا (٢) وربما انهم لم يحصلوا على المغفرة حتى ركعوا قدامهُ في كرسي الاعتراف

(١) ص (٢) يونان ص

ووضع يدهُ على روسهم وتلا عليهم افشين الحل كما يفعل الان الاكليريكيون . فلا اعلم ان كان غبطته لم يتبصر بهذه العبارات ولذلك سها عن الاستشهاد بها مع انها كانت تفيدهُ اكثر لتوطيد قضية الاعتراف بانهُ مامورٌ بهِ في العهد القديم او انهُ لم يجدها تفيد لمقصودهِ فصرف نظرهُ عنها حال كونها اقوى من التي اوردها

واما الشهادة الموردة من رسالة مار يعقوب الجامعة(١) التي كتبها الى القبايل الاثنتي عشرة فهذه يلزم ان نوردها من بدايتها ع١٣ الى ع١٧ حيث يقول ان كان احدكم في حزنٍ فليصلِّ وان فرح فليرتّل . وان كان احدٌ فيكم مريضاً فليدعُ قسوس الكنيسة ليصلّوا عليهِ ويمسحوهُ بزيتٍ باسم الرب فان الصلوة بايمانٍ تخلص المريض والرب يقيمهُ وان كان عمل خطايا تُغفَر لهُ . فاعترفوا بعضكم لبعضٍ وليصلِّ بعضكم على بعضٍ لكي تخلصوا لان صلوة البار الدايمة تنفع منفعةً كثيرة

فهذه الشهادة لا يوجد عند سيادته غيرها تتضمن الاعتراف للبشر . ولكنهُ استدرك ما يورد عليهِ من النقض في تفسيرهِ لها فبادر الى تونيب من لا يقبلهُ منهُ مستعملاً الابهامات المعهودة منهم وان الضالين فسروها كما يظهر لرؤيتهم . وسيادته يريد ان يعدم اللغات حقوقها في توضيح المعاني ويجعل معاني كلام الله

(١) يعقوب ص٥

اسيرة مشيئتهِ يقودها ويربطها تحت المعنى الذي يوافق مأثوراتهم . واما هذرهم بان كنيستهم هي القاضي الاعلى في الحكم على معاني الكتاب فهذه دعوى بلا برهان وخصمهم يجحدها وقد تكلمنا عليها باسهابٍ في محلٍّ اخر

فقول يعقوب الرسول اولاً لا يستفاد منهُ ان الاعتراف يكون الى القسوس خاصةً بل الواحد يعترف للاخر فيما جناهُ عليهِ . لانهُ في الاصحاح الذي قبلهُ يتكلم على الخصومات التي تقع بين المومنين . ولو اردنا ان نفهم المعنى كما يريد غبطته لزم من ذلك ان القبايل الاثنتي عشرة كانت جميعها كهنة لكي يصح اعترافها لبعضها . وهذا لا يسلّم غبطته بهِ . ثانياً لا يستفاد من قول الرسول ان غفران الخطايا يكون بالاعتراف بل بالصلوة وهي غير الاعتراف الذي يطلبه منا غبطته . فلو ادّعى انهم يصلّون لمغفرة الخطايا لربما كانت هذه الشهادة تفيدهُ . فقط كان يجب عليهِ ان يوضح عن قاضيهِ الاعلى باية قاعدة لغوية حكم على قول يعقوب الرسول انهُ يفيد الاعتراف للقسوس دون غيرهم وان الخطايا تُغفر بهِ حال كون الرسول يكرر القول ان المغفرة تحصّل بالصلوة . فمطالعة هذه التفاسير تعطي برهاناً لكل عاقلٍ على عدم استقامة تعاليمهم

هذا وان غبطته يكرر في محاوراتهِ قاعدة يستند عليها علماء كنيستهم وهي ان كل تعليمٍ قرّرهُ الاباء سلباً او ايجاباً لا حرج

في رفضهِ وقبولهِ مالم يتحدَّد من المجمع. وسيادته لا يجهل ان قضية الاعتراف لم تتحدد الا في المجمع اللاتراني الرابع سنة ١٢١٥ فاذاً كان انكارها مباحًا مدة ثلثة عشر جيلاً بعد المسيح. فيا ترى كيف كان الخلاص لمنكريها في الاجيال الماضية اذا كان لا يمكن الخلاص بدونها. فلا نعلم كيف يقدر غبطته على الجمع بين المتناقضين

الفصل الرابع

في الجواب على اعلان غبطته ضد الرسالة المنفذة من احد البروتستانتيين الى اكليروس كنايس سورية

ان السيد مكسيموس يقول في اعلانهِ المذكور انهُ لم يندهل من هذه الرسالة لكون مؤلفها اقام نفسهُ بمقام الرسل القديسين وانفذ رسالةً جامعة الى اكليروس كنايس سورية الحاوية بطاركة وروساء اساقفة ومطارنة واساقفة وخوارنة وقسوسًا ورهبانًا من طوايف مختلفة كانهُ معلم مسكوني. وان عدم اندهالهِ لكونهِ راى في الرسالة المذكورة ان مولفها اقام ذاتهُ قاضيًا على الكنيسة الجامعة موجبًا عليها الشجب. وجعل نفسهُ ذا سلطانٍ اعلى بالحكم على معاني الكتاب المقدس مفسرًا اياهُ حسب مشيئتهِ. وان

غبطته قد تحقق من الرسالة المذكورة ان مولفها ينكر فيها ثلث قضايا دينية كاثوليكية وهي تكريم الايقونات وشفاعة القديسين والاعتراف بالخطايا للكهنة. وان سيادته قد دحض منكريها براسيمهِ السابقة

فهذه القضايا قد تكلمنا عنها في الفصول الثلثة المتقدمة بما فيهِ الكفاية واظهرنا ان مدافعة خصمآينا عنها انما هي كالغريق الذي يتعلق بحبال الهبآء ولم يقدروا قط ان يبرهنوا على وجوبها ولا برهانًا واحدًا واضحًا. وكما هم في تلك نراهم في هذه ايضًا. وكلما قدمنا لهم شهادة من الكتب المقدسة ضد تعليمهم يهربون من معناها الواضح مستعملين الطعن والتشنيع على مخالفيهم قاصدين بصياحهم وضوضآيهم ان يخفوا صوت الانجيل عن سماع الشعب كيلا يفهم منهُ شيأً ومجتهدين في استئسار عقول الشعب حتى لا يفهم من معاني كلام الكتب المقدسة سوى تلك الاباطيل التي يبهتون عليهم بها في تفاسيرهم الملتوية المضادة بكليتها لواضح المعنى ولروح الكتاب

فاذا كان لا يجوز للمسيحيين سادجين كانوا ام علمآء ان يفهموا شيأً من معاني الكتب المقدسة الا بحسبما يفسرها الاكليروس على ما يطابق تخيُّلات اوهامهم واغراضهم فكان سبيلهم ان يلقوا الكتب المقدسة بالكلية ويمنعوا من قرآءتها ضمن الكنايس اذ لا يجوز للشعب ان يفهم شيأً من صريح عباراتها الا

بعد تفسيرها منهم. ولهذا تكون بذاتها عديمة النفع بالكلية. ويقدمون لهم شيئًا من تلك الاختراعات التي يلفقونها على ما يوافقهم لتُقرأَ في الكنايس بدلاً عن كلام الله. لانهُ ينتج من زعمهم ان الكتب المقدسة لم تُكتَب خطابًا للشعب ليتعلَّم منها طريق الخلاص بل كتابتها كانت الغازًا ورموزًا وطلاسم معمَّاة لتكون كنزًا مذخورًا في خزاين الاكليروس يستخدمونها في توطيد سلطنتهم. وان الشعب يكون معهم كبراميل خشبية عادمة الحواس يدحرجونها الى اية جهةٍ ارادوها

فنلتمس من غبطتهِ بحسب شفقته على انفس الذين يدعوهم ضالّين ان يفيدنا باية قاعدة يكون تفسير الكتب المقدسة هل بموجب قوانين اللغة ام بالقياس ومقابلة ايات الكتاب مع بعضها ام على قواعد اخرى نجهلها. فاذا افادنا بذلك فسيادته لا ينكر اننا بشر مثلهُ ومثل اخوانهِ المفسرين وان الانسان بالطبع قابل التعليم. وحينئذٍ اذا كانت قواعدهم يقتضي العقل تصديقها فلا بد ان عقولنا تقبلها كما قبلتها عقولهم. ويتضح لنا معنى الكتاب على الوجه الذي اتضح لهم ومن ثمَّ يرتفع الخلاف بيننا ويدخلوننا في رق عبوديتهم مع المايتين من الملايين التي يزعمون انها توجد تحت ولايتهم. وبذلك يربحون اكثر من ستين مليونًا من البروتستانت الذين هم اكثر من تلك العشرة الالاف او الاثني عشر الفًا من الرجال التي لا يوجد غيرها تحت رعاية غبطته

ورعاية روساء اساقفته ومطارنته واساقفته وخوارنته وقسوسه ورهبانه في جميع محلات كراسي بطركياتهِ الثلاث التي دايمًا يجد نفسهُ في تعدادها مع توابعها في تاليفاتهِ ورسايلهِ مظهرًا اتساع ممالك سلطنتهِ حتى صار امضاؤهُ عبارةً عن تعليم جغرافي. مع ان هذه الانفار القليلة التي برعاها لم يقدر على ضبط سياستها. ومن حين ولايتهِ عليها قد بدَّدها وملأَها من الانقسامات حتى لا اقول جلب لها خرابًا عامًّا لم يلحقها مثلهُ في زمنٍ اخر

فاذا لم يوجد عند غبطته قاعدة للتفسير يهدينا الى معرفتها سوى احالته ذلك على بحر تقليداتهم العديم الساحل فحينئذٍ نعتذر لهم عن عدم تسليمنا لان ثقتنا في صدق نقلهم ضعيفة جدًّا. ونعلم ان كل ما كُتِب فقد كُتِب لتعليمنا[1] ولا يُعقَل ان الرسل قد كتبوا لتعليمنا رموزًا سرية لا يقدر الشعب ان يتعلم منها ضروريات الخلاص ما لم يفسرها الاكليروس وانهُ خُصَّ بالعقل النطقي وحدهُ. اوآه لو ان افكار الشعب تنتبه من هذا النوم الثقيل وتتعقل حالة العبودية التي استعبدهم بها الاكليرس

واما جراءة المولف على انفاذ رسالته الى اكليرس كنايس سورية فهي من واجبات ذمتهِ لكونهِ من المبشرين بالانجيل ويحق لهُ ان يوبخ ويهذب وينصح ويحذر كل من حاد عن طريق الانجيل بكتابتهِ او بمواعظهِ ولاسيما عند سماعهِ ان خدام الانجيل

(١) رومية ص ١٥ ع ٤

قد ضلّوا عن الايمان وعن التعاليم الصحيحة وجعلوا زمرتهم دولةً عالمية واتخذوا لانفسهم تلك الالقاب المفخّمة المضادة لروح الانجيل الدالة على العظمة والكبرياء التي عددها غبطته كبطاركة ورؤساء اساقفة ومطارنة والتي لم يعددها كراس الكنيسة والاب الاقدس والمعلم المسكوني من الوظايف التي لم يضعها المسيح في كنيستهِ ولا يوجد لها ذكر في الكتب المقدسة . فاذا ساغ لغبطته ان يكتب ويعلّم بلسان عموم كنيسته فيما يضاد تعاليم الكتب المقدسة أفلا يسوغ للمولف ان يكتب ويعلّم الحق بلسان كنيسة المسيح حسب نص الكتب الواضح . مع انهُ ربما هو من الرعاة الذين يرعون شعبًا اوفر عددًا مما يرعاهُ غبطته في سعة ممالكهِ الخاضعة لهُ . وغبطته لا يجهل انهُ يوجد قرى في بلاد المسيحيين يكون في الواحدة منها شعب اكثر مما يوجد تحت رعاية سيادته . فالمولف المذكور قد اتّبع تعليم يعقوب الرسول القايل ان من عرف خيرًا ليعملهُ ولا يعملهُ فانهُ يخطي(١) وان الذي يردُّ الخاطي عن ضلالة سبيلهِ فانهُ يخلص نفسهُ من الموت ويستر كثرة الخطايا(٢) وبما ان نيّة المولف هي اجتذاب الناس الى معرفة تعليم الانجيل دون تعليمهِ فلا وجه للطعن عليهِ الا اذا كان القصد اطفاء نور الانجيل وامتداد ظلمة التعاليم البشرية

(٦) يعقوب ص٤ ع١٧ (٤) يعقوب ص٥ ع٢٠

الفصل الخامس

في مجاوبة غبطته عن كثرة قوانين ايمان البروتستانتيين

ان السيد مكسيموس يقول في جوابهِ ان هولاء الضالين (يريد البروتستانتيين) الّفوا لذواتهم اربعة عشر قانونًا في بحر اربعين سنة بدون ان يطابق احدها الاخر باتفاقٍ تام موردًا تواريخها . ومن ثمَّ يلومهم على عدم خضوعهم للكنيسة الجامعة التي بعد قليلٍ يسميها كنيسة رومية . ولكن سيادته لم يوضح شيئًا من اختلافات هذه القوانين ليُنظَر فيها هل هي متناقضة او مخالفة لتعاليم الكتب المقدسة كاختلاف القانون النيقاوي عن قوانين البابا بيوس الرابع المملوة من الاباطيل والتعاليم المضلة . ام اختلافها في قضايا ذكرها الواحد ولم يذكرها الاخر كما نرى في قوانين المجامع واقوال الاباء . ام بالحري كاختلاف الرسل انفسهم الذين لم يجد في اقوالهم المطابقة التامة التي يطلبها منا غبطته ولم يقدح ذلك في صدق تعاليمهم . فعندما يوضحها لنا نقابلها مع تعاليمهِ على تعاليم الكتاب المقدس ونريهِ ايها المخالف بتعليمهِ للتعاليم الانجيلية

واما تكرارهُ لتسمية كنيسة رومية بالجامعة والحاكمة على معاني الكتاب فهذه الدعوى لا نقيم لهُ حقًّا مع احتياجهم الى البرهان على انها باقية كنيسة مسيحية . وان ابن الخطية الى الان لم يجلس في

هيكلها . وانها مع كونها غصن الزيتون البري المر المذاق المتطعم في اصل الكنيسة كما سماها الرسول[(١)] لم تُقطَع الى الان لكبريآيها وافتخارها على باقي الاغصان لان قطعها متوقف على هذا الشرط الذي قد نجز منذ اجيالٍ كثيرة

ومع هذا نسال غبطته عن قانون ايمانهِ الذي يعتمدون عليهِ ايُّ قوانينهم هو لانها كثيرة . ولعلهُ يجيب انهُ القانون النيقاوي . وهذا نحن نقبلهُ منهم لكونهِ يبرهن عليهِ من الكتب المقدسة . ومن ثمَّ نسال سيادته اين يوجد فيهِ ان القديسة المباركة مريم العذرآء قد حبلت بها امها من غير دنس كما تجددت عندهم هذه العقيدة في عصرنا بعد المسيح بتسعة عشر جيلاً وجعلوا لذلك عيدًا احتفاليًا . فعلى ايَّة آيةٍ من الكتاب المقدس كان حكم قاضيهم انها تفيد هذا المعنى . واين يوجد ان الاكليروس يستطيعون ان يغفروا للخاطي ما جناهُ ضد الله والناس . واين يوجد ان اسقف رومية هو بابا وراس الكنيسة ومعصوم من الغلط . واين يوجد ذكر القاضي الذي يحكم وحدهُ على معاني الكتاب . واين يوجد ان كنيسة رومية هي ام الكنايس كلها ومعلمتها نقضًا لتعليم المسيح نفسهِ القايل لتلاميذهِ انتم فلا تُدعَوا معلمين لان معلمكم واحد وهو ابوكم الذي في السموات . واين يوجد انهُ لا يمكن الخلاص خارجًا عن كنيسة رومية . واين

(١) رومية ص١١ ع١٧

يوجد انه في سر الشركة المقدسة يستطيع القسيس ان يحيل الخبز والخمر الى لحم ودم لا بل الى الهٍ بمجرد استدعآيهِ حسب معتقد غبطته القديم او بالكلام الرباني حسب معتقدهِ الذي يظهرهُ الان . واين يوجد ان انفس الصديقين تتوجه الى العذاب في احدى طبقات جهنم المسماة عندهم مطهرًا وتتقلب في نيرانهِ حتى يمحها البابا الغفران او يخلصها القسوس بقداساتهم وجنازاتهم بعد استيلآيهم على اثمانها . واين يوجد ان مساحة جهنم فراغ مكعَّب في قلب الارض كلٌّ من اضلاعهِ مايتا ميلٍ كما ذكرها المطران جرمانس فرحات في قاموسهِ وان القول بغير ذلك هو بدعةٌ . افليس هذا من الخرافات المضحكة

ويوجد كثيرٌ من هذه التعاليم لا يحتمل مختصرنا تعدادها قد تدرجوا اليها بتمادي الاجيال بعضها اتفقوا عليهِ وبعضها اختلفوا فيهِ وقد جعلوها قواعد دينية وحكموا بالكفر على منكريها حال كونها لم تُرسَم في القانون النيقاوي . فاذا اختلف البروتستانتيون في قضايا هينة او مشكلة فلا باس لان مرجع جميعهم الى الكتاب المقدس الذي هو قانونهم الوحيد ولا يلتفتون الى غيرهِ

واما غبطته واشياعهُ اللاهجون دايمًا بقدمية تعاليمهم التي هي كالقمر في كل شهرٍ تهلُّ وتبدر وتختفي اذ لم تكن عمدتهم على الكتب المقدسة بل على ما يصححهُ اسقف رومية فقد صارت كنيستهم كسفينةٍ من غير دفةٍ قد تراس عليها رجلٌ جاهلٌ

يسوقها مع كل ريحٍ وصار الشعب معهُ كقطيع من المواشي يتوجه بهِ حيثما شآء بلا ممانع. ولهذا تراهم في كل جيلٍ يتمسكون بتعاليم محدثة حسب مقاصد روسآيهم حتى اشحنوا الكنايس من تعاليمهم المخترعة التي نلتزم بالاقرار بعجزنا عن تعدادها كالتزام غبطته بالاقرار بعجزٍ عن تعداد تقليداتهم. ونكتفي بايراد القاعدة الدموية الخبيثة التي استعملوها بالفعل في اجيالٍ متتالية وهي استباحتهم دم الازكيآء من مخالفيهم وسلب اموالهم كما نرى ذلك مدونًا في قوانين البابا بيوس الرابع وفي فهرست الكتاب المقدس المطبوع في رومية تحت حرف الهآء حيث يقول الهراطقة يجب ان نهلكهم. وكذلك في المجمع اللبناني المثبت من كنيسة رومية يرخّص للاساقفة ان يقاصُّوا المذنبين بالعقوبات الجسدية وسلب الاموال ولهم ان يزيدوا فيها وينقّصوا منها حسبما يرون مناسبًا بالرب[١] فمن كان يوجد في قواعد ايمانهِ تعاليم مثل هذه يلزم ان يصلح كنيستهُ اولًا ثم يتكلم والاَّ فالسكوت خيرٌ لهُ من الفضيحة

(١) راس ٦ عدد ٥ صحيفة ٣٠٥

الفصل السادس

في المجاوبة عن خبرية الكاهن مورات

ان غبطته كتب خبرية الكاهن مورات كجوابٍ سُئِل عنهُ. ولا نعلم قصدهُ ان كان يريد ان يبرقع تعرضاتهِ تحت ذيل الاعتذار بوجوب اعطآء الجواب عما سيل عنهُ. او ان روح الكبريآء يمنعهُ عن التنازل الى الرد على ما نُشِر ضد تعاليمهِ او انهُ يرى قصورهُ في الرد على كل ما نقضوهُ من تعاليمهِ ويخشى ظهور عجزهِ في ما لا يوجد عندهُ عليهِ جواب. ومهما كانت غايتهُ لا تعنينا ولكن اردت ان اوضح لديهِ افكارنا فاقول

ان سيادته يورد اولًا ترجمة ما حررهُ الكاهن المرقوم في احدى الجرنالات الاكليروسية التي نراها دايمًا مشحونةً بالاكاذيب كما شاهدنا فيها بهذا العام من اخبار العجايب عن بعض الايقونات في ايطاليا التي بسببها ارتدَّ الوفٌ من البروتستانتيين الى الامانة البباوية. الاخبار التي لم تلبث حتى اتضح كذبها. وملخص ما اوردهُ من خبرية الكاهن المذكور انهُ ترك كنيستهُ الرومانية وتبع البروتستانتيين لمجرد اطلاعهِ على كتبهم ثم رجع حين وجد بينهم في بلاد السويس وفرانسا الانقسامات التي يُظَنُّ وجودها في ساير الممالك البروتستانتية. وانه راى ذاتهُ ملتزمًا بالاقرار بالجميل لجمعية الانجيليين

(الكاثوليكيين) في مملكة فرنسا الذين في رسالتهم لهُ المورخة في ٢٤ ك ١ سنة ١٨٤٧ اعلنوا لهُ اهتمامهم بان يعطوهُ وظيفة مرسل الى ميَن الانكليز في امريكا . ثم يورد غبطته ثانيًا خبرية اخرى استخرجها من الجرنال المذكور بتاريخ ١٩ نيسان من السنة المذكورة عن احد رعاة البروتستانتيين ملخَّصها انهُ في احدى عظاتهِ انكر موت المسيح وقيامته . ثم بعد فراغ غبطته من ايراد هاتين الخبريتين يقول فان كان البروتستانتيون اتصلوا الى هذا الحد من التجديف الكفري فهل انهم بعد ذلك يفتخرون باطلاً بكاهنٍ لاتيني خُدِع منهم وغبَّ اختبارهِ احوالهم رجع الى حضن كنيستهِ

فنجيب اولاً عن قضية الكاهن مورات انهُ مع افتراض صدق الخبر كان الاجدر بحكمة سيادته ان لا يذكرها لان كل من لهُ ادنى بصيرةٍ اذا انتقدها يتعجب ممن يعتبرها . اذ انهُ يذكر سبب انحياز الكاهن المذكور الى مذهب البروتستانت انما هو مطالعتهُ كتبهم وانهُ رجع الى كنيسته عند اختبارهِ احوالهم . فالنتيجة انهُ وجد في كتبهم من البراهين ما اقنعهُ ببطلان كل ما تعلَّمهُ في مدة حيوتهِ ونشأ عليهِ . ومن المعلوم انهُ لم يرسم كاهنًا الا من بعد درسهِ جميع التعاليم البابوية ومطالعتهِ براهينها ضد مخالفيها . ويثبت ذلك انتخابهُ للرسالة الى بلاد اميركا حيث يوجد جماهير من علماء البروتستانتيين الافاضل . فلو لم يكن

من العلماء المتدربين لم يستدعوهُ لعملٍ عظيم مثل هذا . فاذن نجزم بكل صوابٍ ان عالمًا مثل هذا لا يمكن ان يكون انتقالهُ عن مذهبهِ بنوع الخديعة . فاما ان يكون عن اقناعٍ حصل عندهُ من كتب البروتستانتيين واما انهُ لم يكن عندهُ روح الديانة وانتقل طمعًا بان يحصل على حالةٍ دنيويةٍ عند البروتستانتيين احسن من الحالة التي هو عليها وعند ما لم يحصل على امانيهِ فحالما تحرر لهُ من جمعية فرنسا واعدةً اياهُ بوظيفةٍ لا بد ان يكون لهُ منها شرفٌ ومالٌ خلع ما كان قد اغترَّ بهِ وعاد الى ثوبهِ القديم

واما خبرية الكاهن الذي انكر موت المسيح وقيامتهُ فمع افتراض صحتها ماذا يكون البرهان الماخوذ منها لاثبات الكفر على عامة البروتستانتيين وباية طريقةٍ برهانية استخرج غبطته النتيجة الكلية وساغ لهُ ان يقول ان البروتستانتيين اتصلوا الى هذا الحد من التجديف الكفري . وهل ان الكنيسة المحتوية على ستين مليونًا تُدان بسقطة انسانٍ واحدٍ منها . العلهُ لا يوجد كثيرون من كهنة كنيستهِ التي لا تكاد تُعرَف في العالم لقلة اعضائها قد انكروا الايمان المسيحي اصالةً . فاذا كان سيادته ممن يرى وجوب الحكم بالعدل وان يدين نفسهُ بما يدين بهِ غيرهُ ففي الفصل الثامن نقدم لهُ قضايا تستحق الاعتبار ليحكم بها على نفسهِ انهم ينظرون الى القذى الذي في عين اخيهم ولا يرون الخشبة التي في اعينهم . ونكتفي هنا بما اوردناهُ

الفصل السابع

في الرد على ما ذكرهُ مما يتعلق بالتوبة ضمن ستة عشر عددًا

ان قضية التوبة وعدم تعلق قبولها عند الله على الاعتراف لقسوس الكنيسة قد تكلمنا عليها بالكفاية في الفصل الثالث . واذ قد ثبت بالبراهين من كلام الله ومن حكم العقل ان ما يعتمدهُ هولاءِ الرعاة امرٌ سخيفٌ لانكلّف انفسنا الى الرد على ما انتجوهُ من مقدماتهم الضعيفة . غير اننا قد وجدنا في العدد الثاني عشر سوالاً من غبطته لجماعة البروتستانتيين طالبًا ان يقولوا لهُ ماذا ينقص الاعتراف للكهنة عن ان يكون سرًّا حقيقيًّا مقدسًا هذا الذي بهِ يُعطَى الحلُّ من المعرّف للمعترف الحاصل على الصفات المذكورة وعلى افعالهِ المرقومة (التي عدّدها) واي اختلافٍ يوجد بين هذا السر وبين سر المعمودية مع ان المسيح نفسهُ هو راسم هذا وذاك وان الرسل قد وزعوا السرين كليهما . فعن الاول قال مار بطرس توبوا وليصطبغ كل انسانٍ منكم لتُغفَر خطاياكم . وعن الثاني قال نحو سيمون الساحر تُب عن شرك هذا واطلب الى الله لعلهُ يغفر لك فكر قلبك

فنجيبهُ ان المانع الذي جعل الاعتراف لبشرٍ مثلنا ناقصًا عن ان يكون سرًّا مقدسًا هو كونهُ غير مرسوم من السيد المسيح بل اختراعًا اكليروسيًّا لم يتمكنوا من تحديدهِ الا بعد المسيح بثلثة

عشر جيلاً كما اوضحناهُ في الفصل الثالث . فسرُّ المعمودية قد رسمهُ المسيح بقولهِ عمّدوهم . واما لفظة قرّروهم او عرّفوهم فلم نرَها في الكتب المقدسة . فاذا كان عندكم سفر الهي حديث يامر بذلك فاخرجوهُ لنا واثبتوهُ لنعمل بمقتضاهُ وتربحوا بذلك اكثر من ستين مليونًا من البروتستانتيين مع من يتخلَّفهم . والا فكفُّوا عن ملامتهم بعدم تصديقهم ما لا يقبل التصديق

واما قولكم اي اختلافٍ يوجد فيما بين سر الاعتراف وسر المعمودية لكون السيد المسيح رسم هذا وذاك فالبروتستانتيون كانوا يسلمون بذلك لو كانت الدعوى صحيحة . ولكن المقدمة التي وضعتموها لا تطابق الواقع ولذلك لا ينتج منها ما انتجتموهُ لان المسيح لم يرسم الاعتراف قط ولا الرسل استعملوهُ . ولهذا لا يمكنكم اثبات التعليم المُختَرَع حديثًا بمنزلة السر الموضوع من رب الشريعة

واما استنادكم على تعليم بطرس الرسول بقولهِ اولاً توبوا وليصطبغ كل انسانٍ منكم فهذا لا نخالفكم فيهِ . ولا نخالفكم ايضًا في قولهِ ثانيًا نحو سيمون تُب عن شرك واطلب الى الله لعلهُ يغفر لك . لان قولهُ الاول هو حسب قول المسيح عمّدوهم وقولهُ الثاني هو بموجب الصلوة التي علّمنا اياها السيد لهُ المجد وهي ان نطلب من الآب ان يغفر لنا خطايانا . واين هذا التعليم من قولكم اعترفوا لنا بخطاياكم لنغفرها لكم من دون ان تقولوا لعل الله

يغفرها . ان تعليمكم يبعد عن تعليم الرسول كبعد الباطل عن الحق لان لا بطرس ولا غيرهُ من الرسل طلبوا من المومنين ان يعترفوا لهم بخطاياهم . ولا واحدٌ منهم قال للخاطي انا احلُّك من خطاياك . فاذا كان الرسل لم يدَّعوا بهذا أَليس من الحماقة التسليم لكم فيهِ . أَليس ان المسيح نفسهُ علمنا في الصلوة الربيَّة ان نلتمس المغفرة من الله وعلَّمنا انهُ يعطينا ما نطلبهُ منهُ بامانةٍ . فهل يخلف وعدهُ ويكون تعليمهُ لنا عديم الفاعلية ويترك المغفرة لمشيئتكم وحكمتكم او انتم اشفق وارحم منهُ تعالى على عبيدهِ . ان كنتم حقًّا بالصدق تتكلمون فاحكموا مستقيمًا يا بني البشر (١) ونسألهُ تعالى ان يخلق لكم قلبًا نقيًّا ويجدد فيكم روحًا مستقيمًا (٢) لتتركوا اباطيلكم وتسلك ارجلكم في طريق السلامة مهتدين بنور الانجيل لتربحوا انفسكم وانفس الذين اغويتموهم بغوايتكم

وهنا لنا سوالٌ من الاكليروس المدَّعين بالخلافة عن الرسل يا ترى باية قوةٍ انتقلت اليهم الخلافة وهل انهم ورثوا تمام السلطان المعطى للرسل ام بعضهُ . فيجيبون اننا خلفناهم بقوة وضع الايدي وفعل الروح القدس وحُزنا تمام سلطانهم . فنجيبهم اننا هكذا نقرأُ في تعاليم كنيستكم المقررة في المجمع اللبناني المثبَّت من البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٤١ حيث يقول الراسم نحو الاسقف المرتسم انت يارب ارسل على عبدك هذا

(١) مزمور ٥٧ ع١ (٢) مزمور ٥٠ ع١

روحك القدوس الرياسي الى اخرهِ . ثم يقول ارسل اليهِ كل قوة الروح القدس ولتاتِ عليهِ موهبة الانجيل وقوة النبوة وفعل الايات ليطرد الشياطين بوضع يديهِ ويشفي المرضى ويفعل العجايب والغرايب في شعبك لمجد اسمك (١)

فاذا كان السلطان يمتدُّ بوضع اليد وتلاوة الصورة فلا بد ان يمتدَّ بتمامهِ . واذا تخلَّف البعض فلا مانع من تخلُّف البعض الاخر . كما لو تخلَّفت قوة النبوة او عمل العجايب مثلاً فلا مانع من تخلُّف قوة الحل والربط . فاذا لم نرَ اعجوبةً ظاهرة من ذلك المرتسم على ان هذه القوة لم تمتد اليهِ فكيف يليق بعاقلٍ ان يصدّقهُ في امتداد قوة الحل والربط الخفية . فاذا كان الكاهن لا يبرهن صدق سلطانهِ بالقضايا التي تظهر للعيان فلا يكون راحة ضميرٍ لمن ينال الحلَّ منهُ ويبقى معرقلاً في افكارهِ

وبما ان غبطتهُ برهن على دعواهُ بالسلطان الذي اعطاهُ المسيح لرسلهِ ان يشفوا المرضى ويقيموا الموتى ويطهروا البرص (٢) بان هذا لا يشير الى ان يعلنوا ان الميت يقوم والمريض يشفى بل ان يتمموا ذلك بالفعل وانهُ هكذا قولهُ تعالى حلُّوا واربطوا لا بد ان يتمموهُ بالفعل . فما احسن هذه المماثلة التي حكم بها على طغمتهِ وجعل لنا سبيلاً ان نلتمس منهم البرهان على مماثلتهم للرسل بان يحيوا لنا اقلَّهُ عصفورًا ميتًا بدلاً عن انسانٍ او يشفوا مزكومًا

(١) صفحه ٣٠٥ (٢) متى ص١٠ ع٨

عوضًا عن ابرص. فاذا كان لا يوجد عندهم سلطانٌ على عمل هذه الاشياء الصغيرة فكيف يقدرون على مغفرة الخطايا التي لا يقدر عليها غير الله وحدهُ. فكما انهم لا يستطيعون ان يشفوا مزكومًا كذلك لا يستطيعون ان يغفروا هفوةً صغيرة. واذ لم يقدروا على عمل برهانٍ فيما يظهر للعيان لا بد ان تكون دعواهم بهذا السلطان الخفي من جملة الخرافات العجايزية

الفصل الثامن

في المجاوبة على ما اوردهُ غبطته من خبرية القسوس العشرة المرتدين من الانكليز الى الكنيسة الرومانية

ان غبطتهُ يجتهد في تصحيح مذهبهِ بايراد حكايات سخيفة مثل هذه. مع انهُ لا يغرب عن معرفتهِ ان ارتداد هولآء ان كان يصح اتّخاذ برهان منه على صدقهِ وغلط مخالفيهِ كان الاجدر بهِ ان يتمسك بالاقوى لانهُ لا ينكر ان البروتستانتيين خرجوا عن الكنيسة الرومانية منذ ثلثة اجيالٍ. ولا يجهل الاضطهادات البربرية التي اصابتهم من البابا واشياعهِ بالقتل والنهب والنفي والحريق بالنار للرجال والنسآء والاطفال حتى استشهد منهم ملايين عديدة. وان كثيرين منهم لم يصبروا على هذا الجور وارتدّوا. ومع هذا كلهِ بقي منهم الى الان اكثر من ستين مليونًا. وهكذا

الكنايس الشرقية باسرها (عدا القليل جدًّا كتابعي غبطته وامثالهم) لا تقبل التعاليم البابوية. فشهادة هذه الكنايس الكثيرة أَمَا تضاهي عند غبطته شهادة هولآء الانفار العشرة المرتدين

واذا كانت شهادة المرتدين حديثًا يعتبرها اكثر فنقدم لهُ ميات من الالوف في بلاد اميركا بمدة هذه العشر سنوات قد تركوا المذهب البابوي. وهكذا في جزيرة ارلاندا في السنتين الماضيتين قد ارتد الى الكنيسة البروتستانتية ثلاثون الف نفس من الكاثوليكيين. وكذلك نقدم لهُ اساقفة وكهنة من ابناء بلدتهِ الحلبيين فقط ونترك من عداهم. أَلا يعرف غبطته الخوري من اقران مولف هذه العشرة الاجزآء الذي كان متقدمًا في كنيسة غبطته ومرتويًا من علومه حتى استحق ان يرفعهُ الى النيابة العامة عنهُ في الكرسي الاورشليمي ثم اقامهُ مطرانًا على ديار بكر. ومن ثم رفض المذهب الكاثوليكي وتمسك بمذهب الروم. وكذلك القس الراهب الكاثوليكي الذي كان يرعى شعب حلب ثم ترك مذهبهُ وتزوج بامراةٍ وهو الان مقيمٌ على مذهب الارمن في مدينة دمشق برأى غبطته. هذا عدا قسوس وعوام غير حلبيين في ايالتي صيدا ودمشق قد ارتدّوا في هذه الايام الى كنيسة الروم. ثم ماذا يقول سيادته عن القس الحلبي العالم اللاهوتي اللغوي المنطقي الذي انتخبهُ غبطته معلمًا لمدرسة طايفتهِ العامة ورسمهُ مطرانًا ثم بعد ما جرى منهُ ما جرى فرَّ هاربًا الى اوروبا واظهر التحاقهُ بالمذهب

البروتستانتي في مالطة وتوجَّه الى انكليترا حيث جمع اموالاً جزيلة من البروتستانتيين على اسم فقراء جبل لبنان واختصَّها لنفسهِ . وعندما سُئِلت عن ذلك من احد رعاة لوندرة كتبت الى غبطتهِ بالواقع حينما كان في القسطنطينية واجابني موضحًا عدم استقامة هذا الاسقف . وهل يجهل غبطته ما كان من امر الكهنة الثلثة من اجلّاء رعاة حلب الذين اصطنعوا تلك الاخوية الفاسدة لعبادة قلب يسوع الى ان اشتهر امرهم واقرّوا بذلك جهارًا ضمن الكنيسة امام كل الشعب . والخوري بولس حاتم ألَّف كتابًا ضدهم واوضح فيهِ قوانين ايمانهم الخبيث الذي نظنُّ ان غبطته لم يجد لها نظيرًا في قوانين البروتستانتيين التي يعيبهم بها . ولا ريب ان الذي انكر موت المسيح اصلح حالاً من هولاء ومن المطران الذي مرَّ ذكرهُ

ولنترك باقي ما يعلمهُ غبطتهُ عن كثيرين من اكليروس طايفتهِ الذين بعضهم جحد الديانة اصلاً وبعضهم انتقل الى مذاهب اخرى واخرون ساروا سيرةً ملومةً لا نريد ان نشهرها عند من لا يعرفها . ولولا تعرُّض غبطتهِ لثلبنا بواحدٍ مجهول بين ستين مليونًا لصمتنا عن ذلك ولكن من تكلَّم بما لا يعنيهِ يسمع ما لا يرضيهِ ومن كان بيتهُ من زجاج فمن الحماقة ان يراجم بالحجارة

ونقدم هنا ملاحظة لسيادته ولذوي البصاير المتَّقين . أَما يجب ان نفتكر بان ما حصل من الاشخاص المذكورين انفًا ومن

كثيرٍ من الاساقفة والكهنة الذين لا يجهلهم غبطتهُ انما كان بسبب تحريم الزواج على الاكليرس واطلاعهم على ضماير الشبَّان والشابَّات في قضية الاعتراف . فعلى ظني انهُ لا ينكر ذلك الا المغفَّلون والذين يستعينون بهِ على قضاء اوطارهم . واذا كان العقل يسمح بتصديق هذا السبب الذي اخترعتهُ الروساء بحجر عثرةٍ خلافًا لرسم الشريعة الانجيلية أَفما هو الواجب ان سيادتهُ يرفع هذا السبب الشنيع ولو كان قاوم اخصامهُ مدةً لاجل اثباتهِ . او بالاقل يمتنع عن رسامة الشُبَّان وتصريفهم في الرعية ويقتصر على تصريف الشيوخ فقط

واما ما استخرجهُ من الجرنال الفرنساوي المطبوع في القسطنطينية من خبر الرعاة المذكورين وتقرير احدهم الخوري توما فيلامر مرشال عن الاثنين والعشرين سببًا التي صيَّرتهُ بابويًّا . واخصُّها السبب الاول الذي اورد بهِ نصوص الانجيل بحق المغبوط بطرس الرسول التي دايمًا تتوكَّأُ عليها زمرة البابا في محاوراتهم مستعبدين معانيها قسرًا لمطابقة مزعوماتهم التي اندحضت من كثيرين . فمن اراد الوقوف على ذلك فليراجع كتاب الثلث عشرة رسالة المولف من المعلم اسحق برد ردًّا على مطران موارنة بيروت ورسالتنا الموسومة بالدليل فيجد فيها ما يكفي للاقناع بان القديس بطرس انما كان كواحدٍ من اخوتهِ الرسل لا رئيسًا عليهم . وما خلا النصوص التي اوردها مما لا يفيد

شيئاً لاثبات دعواهم لم نجد برهاناً على اثبات شيءٍ ينكرهُ البروتستانتيون سوى استعمالهِ صناعة الكلام بتلك التعظيمات التمليقية التي بها يستجلب مرضاة البابا بوضعهِ اياهُ في ذروة المجد

وقد عنَّ لي ان اورد في هذا الفصل اختصاصات المغبوط بطرس التي يصرف البابويون نظرهم عن ذكرها لكونها تهدم مبانيهم. فمن ذلك قول السيد المسيح لهُ يا قليل الايمان لماذا شككت. وحينئذٍ كل من كان في السفينة سجدوا ليسوع وقالوا لهُ انت بالحقيقة ابن الله[1] وبطرس لم يُذكَر انهُ كان من جملتهم. فباقي التلاميذ اعلنوا ايمانهم في الوقت الذي كان فيهِ بطرس قليل الايمان. ثم بعد ذلك سال يسوع تلاميذهُ ماذا يقول الناس عنهُ ثم سالهم عن انفسهم ماذا يقولون[2] ولم يخصص بطرس بالسوال. وفي ذلك تبصرةٌ كيف يسالهم من بعد اقرارهم وايمانهم بهِ وكيف ان بطرس جاوب وحدهُ دونهم والسيد قال لهُ ليس لحم ودم اظهر لك هذا. فمن ذلك يتحقق ان بطرس لم يعترف بالمسيح حينما سجد لهُ باقي التلاميذ واعلنوا ايمانهم. والا لكان سوال المسيح لتلاميذهِ من بعد ايمانهم بهِ عبثاً. وانما الذي يُفهَم من هذا ان الباري تعالى عندما نظر ايمان التلاميذ دون بطرس لم يسمح بان يكون هذا التلميذ غير مومنٍ فاظهر لهُ ما يقنع شكوكهُ. وهكذا السيد المسيح سال تلاميذهُ بمحضر بطرس ولو كانوا آمنوا قبلاً

(١) متى ص١٤ ع٢١ (٢) متى ص١٦

لكي ينبههُ من غفلته فانتبه لذاتهِ وقرَّر ايمانهُ. ومن ثمَّ نبههُ ايضاً بقولهِ ليس لحم ودم اظهر لك هذا ليتحقق عندهُ انهُ عالمٌ بمكنونات ضميرهِ وان ما اعترف بهِ لم يكن من صدق طويتهِ لولا ان يعلنهُ لهُ الاب السمويُّ. ولاجل تمكينهِ في الايمان افادهُ ان كلمة الايمان التي اعترف بها هي الصخرة التي تُبنَى عليها كنيسة المسيح. وعلى هذا اتفق الاباءُ القدماءُ في تفاسيرهم لا كما يفسّر الان زمرة البابا

فالمغبوط بطرس لم يلِن قلبهُ كما يجب وربما لصلابتهِ سُمّيَ صخرةً. ولذلك لم يلبث حتى تعرقل وانتهرهُ السيد بقولهِ اذهب خلفي يا شيطان. فهذه العبارة يختصرها البابويون عند قراءتهم هذا الفصل ضمن الكنايس. ولا يفتكرون بان الذي يقال لهُ شيطان عقيب صخرة لا يصلح ان يكون شخصهُ اساساً لكنيسة المسيح وان الكنيسة تُبنَى على التعاليم لا على الاشخاص. وفي هذا الموضوع لا يوجد تعليمٌ سوى الاعتراف بالمسيح. ولا اظن ان الخوري فيلام يجهل ذلك بل اظن انهُ تعمد ما يرضي بهِ البابا كقول الشيخ صفيّ الدين الحلّي

اراد قضاءَ حاجتهِ لديها فجاءَ بما لها فيهِ اختيارُ

ثم اين يخفون احتياج بطرس الى صلوة المسيح لاجلهِ كيلا يتلاشى ايمانهُ[1] واين يخفون سقوطهُ بالرياءِ في انطاكية وتوبيخ

(١) لوقا ص٢٢ ع٢٢ وفي الاصل اليوناني يقول ما معناهُ يتلاشى او يفنى لا ينقص. ولكن البابويون انغلوا هذه الكلمة لاجل غايتهم.

بولس لهُ كمرشدٍ ومعلم وقولهُ لهُ انهُ لم يسلك بالاستقامة في حق الانجيل(١) فالظاهر ان بولس كان بروتستانتيًّا لم يفتكر قط بان بطرس هو راس الكنيسة . ولذلك ساوى نفسهُ بهِ بقولهِ اني ائتمنت على تبشير اهل الغرلة كائتمان الصفا على تبشير اهل الختان الى ان يقول ولما علم يعقوب وبطرس ويوحنا بالنعمة التي أُعطيتها (مقدمًا يعقوب على بطرس كما تقدم عليهِ ايضًا في مجمع اورشليم) الى ان يقول اوليك الذين كانوا يُظَنُّون انهم عُمُد . فمن ذلك يتضح اربع قضايا . الاولى تقدم يعقوب على بطرس . الثانية ان المسيحيين الاولين كانوا يظنون ان هولاَء الثلثة ممتازون عن بقية الرسل . الثالثة ان بولس الرسول قد نفى هذا الظن واخبرهم بانهُ نظيرهم . لا بل زاد على ذلك بتوبيخهِ لبطرس . وفي مواضع اخرى يفضّل نفسهُ على جميعهم باتعابهِ . الرابعة انهُ بعد ارسال بولس الى الامم صارت رسالة بطرس مختصة باليهود . ولذلك كانت رومية تحت رسالة بولس لانها امية وعلى هذا لا تكون كرسيًّا خاصًّا لبطرس

ثم يخبرنا سفر الابركسيس انهُ لما سمع الرسل الذين في اورشليم ان اهل السامرة قبلوا كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس

فان ايمان بطرس قد نقص وجحد المسيح ثلث مراتٍ وقويت عليهِ ابواب الجحيم . لان الفم يعترف بالمسيح للخلاص وهو قد انكرهُ

(١) غلاطية ص٢

ويوحنا(١) فلو كان بطرس راسًا لم يكن رسولاً من قِبَل المجمع . وكان لوقا الانجيلي يكتب ان راس الكنيسة توجه اليهم واصحب يوحنا

ولنكتفِ بما اوردناهُ من اختصاصات بطرس وننظر في باقي براهينهم كقول السيد لبطرس ارعَ خرافي ثلث مراتٍ . فنقول انهُ معلومٌ ان جميع الرسل تقلدوا الرعاية وكل ما أُعطي لاحدهم فهو للجميع ولا يقدر خصماونا على انكارهِ لانهُ راي جمهور الاباءَ الذي هو احدى قواعدهم الدينية الخمس . وان بطرس قد سقط من وظيفة الرعاية بجحودهِ المثلث فبعد توبتهِ ردَّها اليهِ السيد المسيح ثلاثًا كعدد جحداتهِ حتى رجع الى وظيفتهِ كباقي الرسل

واذا لاحظنا جواب المسيح لرسلهِ عن الاعظم فيهم بقولهِ ان الاصغر فيكم جميعكم هو الاعظم(٢) فيلزم الظن ان يوحنا هو الاعظم لانهُ اصغرهم ولهُ امتيازاتٌ كثيرة لم ينلها بطرس ولا غيرهُ من الرسل . ونرى انهُ من بعد جواب السيد المسيح المتقدم ان يوحنا وحدهُ هو الذي خاطب المسيح كمن اتخذ ولايةً من معلمهِ وصار يخبرهُ عن اعمالهِ . وانهُ منع الذي كان يخرج الشياطين باسم يسوع . وهو الذي اتكأ على صدر المسيح . وتسمَّى بالرسول المحبوب من السيد . والتمس بطرس منهُ ان يسال المسيح عمَّن

(١) ابركسيس ص٨ ع١٤ (٢) لوقا ص٩ ع٤٨

يسلمهُ . وفوض اليهِ المسيح العناية بوالدتهِ دون جميع الرسل .
ومع جميع هذه الاستنادات الواضحة لاثبات تقديم يوحنا لم يتجاسر خلفاوهُ على الدعوى الجايرة التي تعلق بها اسقف رومية في الازمنة المتاخرة

ثم اذا كان المسيح صلى لاجل بطرس وبذلك صار معصومًا وراسًا للرسل فهل يكون ذلك برهانًا على ان هذه الصلوة بلغت مفعولها لاجل كل بابا يجلس في كرسي رومية بان تجعلهُ راسًا للكنيسة ومعصومًا من الغلط . ان المسيح صلّى لاجل حفظ رسلهِ مع كل من يومن بهِ[١] ونرى اكثر المومنين ساقطين وغير محفوظين . فلماذا صلوة المسيح تحفظ بطرس دون غيرهِ . مع ان السيد لم يطلب لهُ الحفظ بل عدم تلاشي الايمان

والجواب ان صلوة المسيح مشروطٌ فيها ان لا يكونوا من العالم حيث قال في صلوتهِ للآب انا اسال فيهم ليس في العالم الى ان يقول انهم ليسوا من العالم كما اني ايضًا لست من العالم[٢] فصلوة السيد لم تُفِد يهوذا الدافع شيئًا ولم تعصمهُ مع انهُ احد رسل المسيح . وما ذلك الا لكونهِ من العالم . فاذا لم تعصم صلوة المسيح رسولهُ بالذات عند ما كان من العالم فهل تعصم كل اسقفٍ جلس في رومية كيفما كان حالهُ بداعي صلوة المسيح لاجل بطرس . فلنفحص باباوات رومية هل انهم ليسوا من

(١) يوحنا ص١٧ (٢) يوحنا ص١٧ ع١٤

العالم لنعلم هل انهم مستحقون لفايدة صلوة المسيح . فلا نذهب الى اجيالٍ بعيدة لنرى حالة اوليك الباباوات الملومين كاسكندر السادس ويوحنا الثالث والعشرين . او من قبل ذلك كيوحنا الحادي عشر الذي اجلستهُ امهُ مروزيا المعلوم امرها في تواريخ الكاثوليكيين انفسهم . بل نكتفي بالفحص عن حالة بيوس التاسع الجالس الان في هيكل الله[١] على ان السيد المسيح اذ علم انهم سوف ياتون ليختطفوهُ ويصيروهُ عليهم ملكًا هرب الى الجبل وحدهُ[٢] واما البابا المذكور فلما علم ان الرومانيين لا يقبلونهُ عليهم ملكًا عالميًّا هرب الى الملوك يستنجدهم لمعونتهِ . وهكذا اهل السامرة عندما لم يقبلوا دخول المسيح اليهم التمس منهُ الرسولان يعقوب ويوحنا ان تنزل نارٌ من السماء لتهلكهم . فنهرهما قايلاً ان ابن البشر لم ياتِ ليهلك النفوس[٣] ولم يسمح بهلاك الكافرين . واما البابا المذكور فارسل على اهل رومية نيران حروب دولة فرانسا والنمسا واهلكهم بحد السيف وتملّك عليهم عنوةً . فهل صلوة المسيح حافظةٌ لهذا الظالم وهل يرتضيهِ خليفةً لهُ وراسًا لكنيستهِ . هل كُفّت ابصاركم وبلغتم من الغباوة هذا المقدار حتى تصدّقوا ان متمردًا مثل هذا هو خليفة رب المجد

واما ما اوردهُ الخوري فيلام المذكور في السبب الخامس ان

(١) تسالونيكية ثانية ص٢ ع٤ (٢) يوحنا ص٦ ع١٥
(٣) لوقا ص٩ ع٥١ الى ع٥٦

المذهب البروتستانتي نشا عن مرغوب ملك الانكليز هنري الثامن لكي يطلّق زوجتهُ الناموسية التي قاومهُ لاجلها البابا وان الاسقف كرانمار ازوجهُ الزيجة الفسقية فهذا غير صحيحٍ وما كنت ارى احدًا من الكاثوليكيين يتكلم بالحق في هذا الخصوص سوى قديسهم الجديد الفونسيوس ليكوريه في شرحهِ على الارتقات حيث يقرُّ ان السبب هو بيع الغفرانات . لان البابا ليون العاشر في سنة ١٥١٧ جعل الغفرانات تجارةً تُباع للمحتاجين كاصناف البضايع . فحالاً نهض الفاضل مرتينوس لوثاروس لمقاومتهِ وامتد المذهب البروتستانتي في بلاد النمسا وفرنسا والسويس قبل زيجة الملك هنري المذكور بسنين كثيرة لان زيجتهُ كانت بعد وفاة البابا ليون السابق ذكرهُ وفي مدة باباوية اكليمندس السابع سنة ١٥٢٧ وذلك ان الملك هنري المذكور كان متزوجًا بكاترينا امراة اخيهِ الامر الممتنع في مذهب كاثوليكية ذلك العصر . فتوسوس من حرمتها وطلب فسخها من البابا اكليمندس المذكور . فأخَّر الجواب بمواعيد واعذار رعايةً لخاطر ابن اخيها السلطان كارلوس الخامس . فالاسقف كرانمار اشار على الملك هنري ان يعرض قضيَّتهُ هذه للمدارس الجامعة . فغلب رايهم على فسخها لانها ضد الشريعة فطلّقها اعتمادًا على ترجيح راي اللاهوتيين . نعم انهُ كان بعد ذلك يقاوم البابويين ولكن ليس لاجل الديانة بل لتحزبهم مع البابا الذي كان يحرّضهم على عصيانهِ .

واما هو فبقي على المذهب البابوي واضطهد البروتستانتيين مدةً تقارب العشرين سنة . وهو الذي تناظر مع لمبرت الشهيد البروتستانتي وقضى عليهِ ان يُحرَق بالنار . وقد ألَّف رسالةً ضد تعليم لوثاروس . ولذلك البابا ليون محبُّ الفضة السابق ذكرهُ لقَّبهُ بالمناضل عن الايمان

هذا وان المذهب البروتستانتي قد وجد في انكليترا قبل زمان الملك هنري المذكور بنحو جيلين . لان يوحنا وكلف تلقنهُ من قسوس الولدنسيين ولهُ فيهِ مؤلفاتٌ . وتوفي بسلامٍ سنة ١٢٧٨ وبعد اربعين سنة اتى جماعة البابا على رمّتهِ كالوحوش فاخرجوها من القبر واحرقوها . وهكذا الشهيد الفاضل يوحنا هوس احرقهُ مجمع البابا في قوسطنسيا سنة ١٤١٥ لاجل التعليم الانجيلي . وذلك قبل وجود الملك هنري باكثر من ماية سنة . وما الحاجة الى تعديد الافاضل الذين كانوا في كل عصرٍ يكشفون الظلام البابوي وينيرون المسكونة بالتعاليم الانجيلية . حال كون بولس الرسول كان يعلّم بالمذهب البروتستانتي منذ نحو تسعة عشر جيلاً ويقاوم المعتقدات التي اخترعها الباباوات بعد المسيح باجيالٍ . فرسايلهُ المحفوظة الى الان هي وحدها تدحض جميع الاباطيل الرومانية وتثبت المعتقد البروتستانتي القويم وهذا حسبنا

الفصل التاسع
في شركة القديسين

ان السيد مكسيموس في جوابهِ على شركة القديسين يفتري على البرونستانتيين متهمًا اياهم بانكارها ويقول ان آبآء المجمع النيقاوي لم يوضحوها في قانونهم لكونها قد توضحت في قانون الرسل . ومع ذلك فمضمونها موجودٌ تحت ما قالوهُ . ومن ثمَّ يبرهن عنها بشهادات الكتب المقدسة

فمن جهة افترآيهِ علينا هذا نسامحهُ بهِ لانهُ داب مخالفينا . ولكن نعلن اننا نومن ونصدّق بشركة القديسين لكونها مقررة في قانون ايماننا الوحيد الذي هو الكتاب المقدس . ولا ننكر الَّا ما زادهُ مخالفونا على هذه القضية بتفاسيرهم الملتوية التي بها يستعبدون آيات الكتاب المقدس للمعاني التي تقوم في اوهامهم خلافًا لمفادها الواضح . ولذلك نوضح مَن هم القديسون الذين يذكرهم الكتاب وما هي هذه الشركة وذلك ببرهان الكتاب فنقول

ان الكتاب المقدس غالبًا يسمي المومنين في العهدين قديسين . ففي القديم يقول ادعُ الان ان كان لك مجيبٌ والى احدٍ من القديسين التفت[١] ولا يقدر غبطته ان يفسر هذه الاية

(١) ايوب ص٥ ع١

على غير المومنين الذين على الارض لانهُ يعتقد انهُ في زمن ايوب لم يكن قديسون في السمآء وان المطهر وُجِد بعد المسيح

واما في العهد الجديد فنكتفي ببعض تعاليم بولس الرسول . فان منها قولهُ من بولس الى جماعة الله التي في قرنثية المقدسين بيسوع المسيح المدعوين قديسين[١] وهكذا يعلم الرومانيين ان يكونوا مشاركين لحاجة القديسين[٢] ويقول ايضًا من بولس الى جميع القديسين بيسوع المسيح الذين بفيلبسيوس[٣] وقال اني منطلقٌ الى اورشليم لاخدم القديسين[٤] ومن المعلوم ان قرنثية ورومية وفيلبسيوس واورشليم مداين في الارض وليست هي السمآء ولا المطهر . ثم في تعليمهِ لتيموثاوس على كيفية انتخاب الشماسات يقول لتُختار الارملة ممن لا تنقص سنوها عن ستين سنة وان من جملة اوصافها ان تكون قد غسلت اقدام القديسين[٥] ومن المعلوم ان القديسين في السمآء هم ارواحٌ ليس لهم ارجلٌ لتُغسل والشماسات لايمكنهنَّ العروج الى السمآء . ولنكتفِ بهذه الشهادات عمَّا سواها في ان اسم القديسين كان مطلقًا على المومنين

واما ماهية الشركة الواضحة في الكتب المقدسة فهذه خصمنا

(١) قرنثية اولى ص١ ع٢ (٢) رومية ص١٢ ع١٣ (٣) فيلبسيوس ص١ ع١ (٤) رومية ص١٥ ع٢٥ وع٢٦ (٥) تيموثاوس اولى ص٥ ع٩ وع١٠

لا يجدها ولهذا لا يلزم تقديم البراهين عليها . وبالجملة ان الكنيسة هي اعضاۤء جسمٍ واحد راسهُ السيد المسيح تشترك مع بعضها في السرّاۤء والضرّاۤء والنعم الروحية . والشركة ايضًا هي مايدة الرب المشترك فيها المومنون . وهكذا افعال الرحمة نحو اخوتنا تُسمّى ايضًا شركة . ولكن الشركة مع الكنيسة المتالمة بالنار المطهرية التي تكلم عنها غبطته فهذه لم نتكلم عنها الكتب المقدسة ولا لها رسمٌ في قانون الرسل ولا في اقوال اباۤء الكنيسة الاولين . وما هي الا بدعة الاكايرس الذين يجتهدون بتمكينها في عقول العوام البسطاۤء لكي يسلبوا اموالهم ثمن غفرانات وجنازات ونياحات وقداسات مما لا يفيد الموتى شيئًا . فهذه البدعة المنكرة لا يليق بغبطته ان يلومنا على عدم تصديقها

وهكذا لا ينتج ايضًا ان شركة القديسين في السماۤء تستلزم تقديم عبادتنا لهم بان نصلي اليهم ونطلب منهم خلاص نفوسنا او نتخذهم وسطاۤء وشفعاۤء مع ان الكتب المقدسة تعلمنا بوحدانية الواسطة كما تعلمنا بوحدانية الله . فان بولس الرسول يعلمنا ان الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو يسوع المسيح[1] فاذا كان القديسون يحبّوننا فهم يصلّون لاجلنا بلا طلبٍ لان صلاحهم يقتضي ذلك . ولو كان يمكننا الوصول اليهم او كنّا نتحقق

(١) تيموثاوس اولى ص٢ ع٥

انهم يشعرون بما نطلبهُ منهم لربما كان وجهٌ لنلتمس منهم ان يصلوا لاجلنا (لا ان نصلي لهم) ولكن الكتب المقدسة تعلّمنا ان الموتى لا يعرفون شيئًا بعد الموت . وايضًا لا يمكن وجودهم في كل مكان ليسمعوا طلبة من يدعوهم

واما قول غبطته ان اباۤء المجمع النيقاوي لم يروا وجوب ادخال كلام شركة القديسين في القانون لكونها موجودة في قانون الرسل مفسرًا ضميرهم بعد خمسة عشر جيلاً حسب مشيئتهِ . فنجيبهُ اذا كان الامر كما زعم من عدم وجوب التحرير في القانون لما تحرر قبلاً فلماذا حدّد القانون المذكور وحدانية الله وان المسيح هو ربٌّ واحد مع ان الكتب المقدسة مشحونة بتكرار هذا التعليم ولا يوجد مسيحي ينكرهُ . فهذه القضية نترك جوابها لفطنة القاري ونكتفي بما ذكر

الفصل العاشر

في رسم اشارة الصليب

ان السيد مكسيموس بعد كلامهِ على اصل عادة رسم اشارة الصليب واعترافهِ بانهُ لم يكن عليها نص في الكتب المقدسة ولم تُرسَم في مجمعٍ يعدّد اختلاف طوايف النصارى في ترتيب الرسم المذكور وفي استعمال ايديهم فيهِ بان احدهم يرسمها بالاصابع

الخمس والاخر بالثلث الاصابع والاخر بالاصبع الواحدة . ثم يلتفت نحو البروتستانتيين ويوبخهم زاعمًا انهم لم يبقوا من جملة المسيحيين لعدم استعمالهم الرسم المذكور . وبما ان سيادته قد اعترف بان هذه القضية لم يُؤمَر بها في الكتب المقدسة ولم تُرسَم في مجمعٍ واورد اختلاف الطوايف فيها وهو يزعم انها من التقليدات حال اختلافهم فيها فلنترك الجواب عليها لعدالة سيادته لانهُ يعلم انهُ لا يلزمنا ان نعمل اكثر مما أُمِرنا بهِ حسبما يعلمنا الانجيل الطاهر(١) فنعمد اطفالنا باسم الاب والابن والروح القدس . واما رسم الخطوط وعمل الاشارات بايدينا على وجوهنا وصدورنا او على اشياء اخرى فهذا لم ينصّ عليهِ الكتاب ولم نُؤمَر بهِ ونراهُ من تعاليم البشر السقيمة ولهذا لا نعتبرهُ . ولكننا دايمًا نمجد ونعبد الاب والابن والروح القدس الاله الواحد كما يجب بالروح والحق ونحمل صليب المسيح مرسومًا في قلوبنا . ولا نستعملهُ للاهانة كما يفعل راس كنيستهِ اذ يضع الصليب علامةً لنعليهِ . فغبطته ينفي البروتستانتيين من عدد المسيحيين لعدم استعمالهم هذه العلامة فنسالهُ عن هذا التقليد كيف تلقَّوهُ عن الرسل هل كما يفعل غبطته بان يرسم الصليب على وجههِ امركما يفعل راس كنيستهِ بان يرسمهُ على نعليهِ . فايهما عندهُ التقليد الصحيح . وعلى كل حالٍ هم اعلم منا بهذه الاختلافات بينهم وبين راسهم مع

(١) لوقا ص٣ ع١٢

دعواهم بالاتحاد التام

واما ما ذكرهُ سيادتهُ من نصوص الاباء فهذا لنا فيهِ كلامٌ طويل لا يحتملهُ مختصرنا هذا ولكننا نتكلم عليهِ بحسب الامكان . فنقول اولاً يلزم غبطته البرهان من الكتب المقدسة على التزامنا ان نسلك بمقتضى كل ما علَّمت بهِ الاباء من غير فحصٍ ولا استثناء . ثانيًا اذا كان يجب الفحص فعلى اية قاعدةٍ يكون . ثالثًا بعد اثباتهِ لزوم العمل بنصوص الاباء يلزمهُ اثباتها انها باقيةٌ كما هي بدون شك ومن ثَمَّ نسلّم بكل ما علّموهُ

اما كوننا غير ملتزمين بتعاليم الاباء فهذا عليهِ صريح النص الانجيلي بقولهِ تعالى يعبدونني باطلاً ويعلمون تعاليم ووصايا الناس(١) وقولهِ ايضًا للرسل انفسهم اما انتم فلا تُدعَوا معلمين فان معلمكم واحدٌ وهو ابوكم الذي في السموات(٢) فاذًا تعاليم الناس ووصاياهم واتخاذ المعلمين منهم هو عين العبادة الباطلة . واما فحص التعاليم فيقول عنهُ بولس الرسول اسالكم يا اخوتي ان تميزوا الذين يعملون في الشقاق والعثرات خلاف التعليم الذي تعلمتم واحترزوا منهم(٣) وقال احذروا ان يسلبكم احدٌ بالفلسفة والغرور الباطل حسب تقاليد الناس(٤) ولذلك لا يلزمنا ان

(١) مرقس ص٧ (٢) متى ص٢٣ ع١٠ (٣) رومية ص١٦ ع١٧
(٤) كولوسايس ص٢ ع٨

نتعلم شيئاً خارجاً عن الكتب الالهية . وهكذا يقول يوحنا الانجيلي نحونا اما انتم فالمسحة التي قبلتموها (من المسيح) تبقى فيكم ولستم محتاجين أن يعلمكم احدٌ لكن كما تعلمكم مسحتهُ بكل شيءٍ وهذا حق وليس كذباً فكما علمكم فاثبتوا فيهِ(١)

فاذا كان المسيح نفى وظيفة التعليم عن رسلهِ الاطهار انفسهم بمعنى انهم لا يقدرون ان يضعوا تعليماً غير موحى بهِ من الله فهل نلتزم بالوقوف عند تعاليم غبطته وامثاله . واذا كان يوحنا الانجيلي قال ان المسحة التي قبلناها تعلمنا كل شيءٍ بالحق فكيف يتجاسر سيادته على تكذيب هذا الرسول بزعمهِ ان كنيستهُ هي معلمة المسكونة ولا نقدر ان نتعلم الا ما ترسم بهِ

واما تحريفهم لاقوال الاباء القدماء فلا بد ان نقدم دلايلهُ ليلا نوقف انفسنا في موقف مخالفينا بان تكون دعاوينا مثلهم بلا برهان . فنقول ان الافشين المنسوب الى يوحنا فم الذهب الذي يُتلَى في الكنايس في خدمة سر الافخاريستيا لا نجدهُ مطابقاً عند الطايفة الواحدة لما عند الطايفة الاخرى . لانهُ عند الروم يطلب فيهِ من الاب السموي ان يرسل روحهُ القدوس على الخبز والخمر ناقلاً اياهما الى لحمٍ ودم . واما عند الكاثوليكيين منهم فيقال فيهِ ان يرسله على الخبز والخمر لكي ينتقلا ويستحيلا . ولكن في مدة رياسة السيد مكسيموس قد غيَّروا فيهِ وقالوا المنتقلان

(١) يوحنا اولى ص٢ ع٢٧

المستحيلان هرباً من دعوى الروم عليهم بان الاستحالة تتم بهِ . واما عند السريان الكاثوليك فيقال ارسل روحك القدوس على هذا الخبز الذي هو سرُّ جسد مسيحك . ولا يوجد فيهِ كلامٌ يدل على الاستحالة . وربما هذا هو قول فم الذهب الاصلي لان تعليم الاستحالة في عصرهِ لم يكن قد تقرر في الكنايس . واما السيد بابيطا مطران صيدا الذي انشأَ الانشقاق في كنيسة الروم وصار كاثوليكيًّا ففي خطابهِ لمجمع رومية سنة ١٧٢٢ يقول في هذه القضية انهُ موجودٌ عندي كتب في طقس قداسنا يونانية وعربية وسريانية قد قابلناها على النسخة المطبوعة في رومية للرهبان الباسيليين وجميعها لم يكن فيها كلامٌ يدل على الاستحالة . وانما هذه القضية وضعها في قداس الروم نيكيفورس بطريرك القسطنطينية وهي موجبة الضحك لمن يتامل فيها انتهى . فاذا كان افشين مثل هذا القديس الشهير بين الاباء شرقاً وغرباً يُتلَى يوميًّا في كنايس جميع الطوايف قد لعبوا فيهِ وغيروهُ اشكالاً كاغراضهم ولم يخجلوا من ابقايهم نسبتهُ الى هذا القديس فمن اين تبقى لنا ثقةٌ بذمتهم انهم لم يحرّفوا اقوال بقية الاباء كما هواهم مع ابقاء عنوانها باسمهم

هذا وان ما حصل بمشاهدتنا منذ سنين قريبة ان الشماس غبريل القبطي الكاثوليكي صحَّح ترجمة تفسير انجيل يوحنا ليوحنا فم الذهب عن الاصل اليوناني باتعابٍ كلية ومصارف وافرة . وعلماء الروم العارفون جيداً باللغتين اليونانية والعربية قابلوها

بدمشق وشهدوا بصحتهـا واخذوا عنهـا نسخة مدققة. فالسيد مكسيموس لم ياذن بطبعها في دير الشوير حتى تُفحَص بمعرفة البادري الكسيوس الاسبانيولي والخوري يوسف جعجع الماروني الجاهلين كليهما اللغة اليونانية اصالةً. فتصرفا بالنسخة المذكورة كمشيئتهما في الزيادة والنقصان تطبيقًا على المذهب البابوي. وبعد اتمامهما افسادها سجّلا شهادتهما بتصحيحها. وهكذا رخّص غبطته في طبعها. وبعد اشهار الجزء الاول منها قوبل على الاصل المحفوظ عند الروم فظهر التحريف وافتضح ما صنعوهُ حتى ان الشماس غبريل مات قهرًا من هذا الصنيع

وبما ان بعض المتعصبين بغير افراز لكل ما يموّه بهِ روساؤهم من الاباطيل التي يسندونها لهم على الاباء القدماء يعسر عليهم التصديق بان التزوير والتحريف قد دخل على كتبهم الكنايسية اما غلطًا واما عمدًا. فيلزمنا ان نورد لهم برهانًا بشهادة روسايهم الاجماعيّة من كتابٍ عربي العبارة يوجد بين ايديهم مطبوعًا وهو كتاب المجمع اللبناني المثبّت من كنيسة رومية بجميع اجزايهِ المولف من جميع اساقفة الطايفة المارونية ومن بطريركهم وعلمايهم تحت نظارة المونسنيور السمعاني المتقدم في المجمع الروماني والمطبوع في دير الشوير باذن الروساء الكاثوليكيين. فهذا المجمع عند ما يتكلم على خدمة القداس يقول قد وُجِد في كنيستنا نوافير (اي ليتورجيات) قديمة وان كانت خالصة من الغلط لكنهـا

محررة باسماء قديسين ما صنفوها ولا هي لهم. وبعضها باسماء اساقفة اراتقة ادخلتها النُسّاخ بغرضٍ فاسد[1] انتهى. وحسبك شهادةٌ من جميعهم على انفسهم بان كنايسهم تحتوي على كتبٍ مزوّرة. فاذن من اين يعرفون الصحيح. فيلزمهم الجواب انهم يعرفونهُ من تطبيقهِ على عقايدهم. فما وافقها قبلوهُ ولو كذبًا وما خالفها نبذوهُ ولو صدقًا

وقد تقدم الكلام على تحريفهم نصّ الانجيل ذاتهِ بقول السيد نحو بطرس ليلا يتلاشى ايمانك فكتبوا ليلا ينقص ايمانك كما حذفوا من العشر وصايا الالهية الوصية الثانية ولم يخجلوا من ابقايهم عنوانها بانها وصايا الله العشر

ولنكتفِ بما اوردناهُ من البراهين القطعية على ان رسم اشارة الصليب لم يكن تعليمًا انجيليًّا واثبتنا التحريف الواقع في كتبهم الكنايسية وفي نصوص الاباء لا بل تجاسرهم على تحريف الكتب الالهية نفسها. ونحن عرفنا ما وقع في جيلنا المتنور الذي يخشون فيهِ اطلاق باعهم بتحريف كل ما يرغبونهُ اذ يعلمون ان اعين حُرّاس الانجيل ترقبهم. واما ما حصل في الاجيال المظلمة من الجيل السابع الى الجيل الخامس عشر عند ما كان الباباوات والاساقفة عبارةً عن دولةٍ بربرية وكثيرٌ منهم لا يعرف القراءة والكتابة وكان المسيحيون المشارقة في ضنكٍ من استيلاء الامم عليهم مشتغلين في وقاية انفسهم من الدمار فهذا لا نعرفهُ بالتحقيق.

(1) قسم ٣ راس ١٢ صفحة ١٨٩

ولكن عند ما نطالع تواريخ تلك الازمنة لا نرى فيها الا ما يوجب النوح والبكاء على حالة كنيسة المسيح التي تهشّمت وقتيئذٍ من الراس الى القدم

الفصل الحادي عشر

في الاجابة عن خاتمة جامع الاجزاء العشرة

ان ما تكلّم بهِ مولف العشرة الاجزاء في خاتمتهِ ضد البروتستانتيين والسندات التي اوردها واختصّ معانيها لكنيستهِ ليس باقلّ مما تكلّمت بهِ روساء شيعتهِ المستقي من ينابيع تعاليمهم . وذلك اولاً تسمية كنيستهِ بالجامعة وبعمود الحق وان ابواب الجحيم لا تقوى عليها وان تعاليمها هي هي التي سلكت عليها ثمانية عشر جيلاً . ثانياً يامر بالرجوع الى طاعتها بقولهِ مكرّرًا الى الكنيسة الى الكنيسة يلزم الرجوع بالطاعة والاشتراك مع المايتين مليوناً المولفين من جسمها ناقلاً هذا العدد المضاعف عن اصلهِ من تقريرات معلمهِ التي ليس لها اصلٌ في مولفات الجغرافيين ايهاماً للقارىء بكثرة المليونات . مع انهُ لو تكلم بالصدق وعرف كمية المليونات الداخلين تحت اسم مذهبهِ الكاثوليكي من الاخويات الفرمسونية والفحّامية واخوية مار سمعان التي تفرعت عنها اخوية كاثوليكية حلب السابق ذكرها والذين يذهبون الى ما

ذهب اليهِ ابيقوروس الفيلسوف اليوناني او الفيلسوف فولتير والمعلم قولني الفرنساويان من تعطيل جميع الاديان وطرح عدد اصحاب هذه المذاهب من عدد المقول انهم كاثوليكيون لظهر لرؤيتهِ انهُ لم يبقَ عندهُ متمسكاً بالمذهب الكاثوليكي تمسكاً قلبياً الا القليل . وغبطته لا يجهل ان كثيرين من كاثوليكية اوروبا يحسبون قضية الاديان من الحكايات الخرافية . واقول ذلك مع اعتقادي ان صحة المذهب لا تستلزم كثرة المتمسكين بهِ . فانهُ في زمن نوح اذ افسد كل انسانٍ طريقهُ ولم يبقَ سواهُ مع بعض عايلتهِ وكذلك اذ ظنّ ايليا النبي انهُ لم يبقَ مومنٌ غيرهُ لم يقدح ذلك في شان الكنيسة . وهكذا لا انكر وجود البعض بين البروتستانتيين مثل اوليك . فلو انتخبنا المتمسكين بالديانة من الفريقين لربما زاد البروتستانتيون على الكاثوليكيين . وما ذلك الا لتفاوت تعاليمهم وكونها موطدة على النصوص الالهية وليس فيها شيءٌ من تلك الاباطيل التي يموّه بها معلموا الشيعة الكاثوليكية

واما زعمهُ ان كنيستهُ عمود الحق وان ابواب الجحيم لا تقوى عليها الى غير ذلك من اوصاف كنيسة المسيح فقد سبق الكلام ان الكنيسة تُعرَف من تعاليمها وقد مرَّ بيان كثيرٍ من تعاليم كنيستهِ الزايغة عن الانجيل وانها ليست هي هي كما يزعم بل تتغير كالقمر في الزيادة والنقصان . فكم من الباباوات فسخوا

زيجة بنت العم المكتملة بالفعل كما فسخوا زيجة روبرت الثاني ملك فرانسا زاعمين انها فسقية وليس في سلطانهم تحليلها. والان نراهم يزوجون العم بابنة اخيهِ والخال بابنة اختهِ والرجل بامراة اخيهِ ذات الاولاد خلافًا لتعليم الكتب المقدسة ولمجامعهم المعصومة. وقد اضحت هذه المحرمات حلالًا عند اخذهم الدراهم عليها. وكم من التحديدات وضعوها على الاكليريكيين بتحريم الزيجة الناموسية المامور بها من رب الشريعة. والى الان يشددون فيها مع ان غبطته لا يجهل الرجسات التي يصنعها اكليرس ايطاليا في مقرّ العصمة كما انهُ لا يجهل كم من الباباوات عاشوا بالفجور وكم منهم سقط في الهرطقات وحُرِم من المجامع. وكم منهم جلسوا اثنين لا بل ثلثة سوية على كرسي بطرس كما حصل سنة ١٤١١ اذ جلس بناديكتوس الثاني عشر وغريغوريوس الثالث عشر ويوحنا الثالث والعشرون. وكان كلٌّ منهم يدَّعي الخلافة والعصمة ويحرم الاخر ويلعنهُ حتى عزلهم المجمع واقام مرتينوس الخامس مع الاقرار بان يوحنا المذكور هو البابا الشرعي. وبذلك قطعوا سلسلة الخلافة التي يزعمونها. وكم حرَّموا اصناف الاطعمة ثم اباحوا ما حرَّموهُ. وفي عصرنا اباحوا اكل اللحوم في صومهم الكبير الذي طالما شدَّدوا بتحريمها فيهِ. وكم وكم يوجد من الاختلافات في العقايد بين طوايف الكنيسة الكاثوليكية ذكرنا بعضها في صدر كتابنا وبعضها لم نذكرهُ. فالطايفة منهم تعبد

قديسًا ما والاخرى تحرمهُ. واللاتينيون والموارنة يخصُّون توزيع الميرون بالاساقفة ويحرمون من يقول بجوازهِ لجميع الكهنة. والروم الكاثوليكيون يجعلونهُ مشاعًا لكل قسيس. وكذلك اللاتينيون والموارنة يحرمون مزج الخمر بالماءَ السخن في سر الافخارستيا والروم الكاثوليكيون في عصرنا هذا يوجبون استعمالهُ[1] وهكذا الطايفتان المذكورتان لا تجيزان استعمال مسحة المرضى الا عند قطع الرجاءَ من حيوة المريض واما السيد مكسيموس فيحتم بوجوب استعمالها للمومن حال وقوعهِ في المرض

والذي عددتهُ من الانقسامات والاختلافات بين الطوايف الكاثوليكية المدَّعية بالاتحاد التام انما هو قليلٌ من كثيرٍ وربما اكثر العوام يجهلونهُ. وغالبًا روساؤهم ينكرونهُ خشيةً من انتباه الشعب. وارغب ان ارى انكارهم بكتابةٍ رسمية ليسمعوا البرهان الواضح عن كل قضيةٍ واننا لم نتكلم عليهم غير الحق. فلو كان يمكن غبطته دحض ما نقولهُ عليهم لكان امكنهُ ان يفرّغ نفسهُ شهرًا كزعمهِ لاتمام هذا العمل ويسمح لرعيتهِ ان يطالعوا كتب اخصامهِ وما يردُّهُ عليهم. وذلك انفع لهُ مما يبوّق بهِ في

(١) اعلم انهم في الجيل الماضي كانوا يحرمون استعماله كما يظهر من جواب السيد بابيطا مطران صيدا الى مجمع رومية سنة ١٧٢٢ بقوله ان هذا العمل غير جايز لانه وضع المخلوق على الخالق قد ابتدعه يوحنا الصوَّام

الكنايس من مواعظهِ وجمعياتهِ ومناشيرهِ ضد اخصامهِ بكلام الافتراءَ والقذف والشتايم واللعنات لانهُ بعملهِ هذا يعلّم الشعب السفاهة وبغضة القريب ضد وصية المسيح الآمرة بمحبة الاعداءَ

فمؤلّف الاجزاءَ يدعو الناس الى كنيستهِ صارت مكان القذف والتعيير والنميمة بحق الغايب . فكان يجب عليهِ ان ينظفها اولاً ويخرج منها اوساخ التعاليم البشرية ثم يدعو الناس الى الصلوة فيها . العلهُ لم يسمع صوت الله الصارخ نحوهم لا تتكلوا على قول الكذب قايلين هيكل الرب هيكل الرب هو انكم ان لم تسلكوا بالصواب فارذلهُ كما رذلت شيلو[1] وهل يعلم هذا المولف ان روح الله يسكن في هيكلٍ صنعتهُ الايادي او يحلّ في قلوب الضالين لكي نعتقد وجودهُ عندهم . ولكن على ظني انهُ لم يقف على شيءٍ من احوال ام الكنايس ويظن ان حالها كحال معلمهِ الذي نشهد بفضيلة شخصهِ ونظن انهُ لولا رغبتهُ بدوام منصبهِ كان يصرّح بالتصديق على كل ما ذكرناه . وحينئذٍ ينادي المولف اخرجوا منها يا شعبي لان ذنوبها وصلت الى السماءَ وذكر الرب ظلمها

فنسالهُ تعالى الرحمة لعبيدهِ بان يفتح اعين قلوبهم ليبصروا نور الانجيل ويسلكوا في طريق الحق مبتعدين عن طريق ضلالتهم المؤدي الى الهلاك لتكون لهم السعادة الدايمة في اورشليم السموية مع زمرة القديسين امين

(1) ارميا ص٧ ع٤

القسم الثاني

في دعوى الكهنوت

الفصل الاول

في تعريف الكهنوت ومتعلقاتهِ

ان وظيفة الكهنوت وُجِدت قبل الشريعة الموسوية عند الامم . وكان يراد بها اما صناعة السحر والاخبار بالمغيّبات وما يصنعهُ المشعبذون لخديعة الساذجين بامورٍ تفوق ادراكهم معرفة حقيقتها احتيالاً منهم على اكتساب المال ورفعة المقام . واما تعاطي الخُدَم الدينية في الهياكل كتقدمة القرابين للاصنام والوعظ والتعليم وبعض الاعمال الطبيّة . والاول من هذين القسمين يسمى كهانةً والثاني كهنوتًا وصانع كل واحدٍ منهما يُدعَى كاهنًا

وهذه الطايفة قد امتازت غالبًا بالمعرفة والاحتيال عن بقية العوام لتفرُّغها لذلك . ولهذا تمكنت من السلطة على الشعب واستولت على ضماير الساذجين واستعبدتهم حتى ان الملوك منهم كانوا يخضعون لها . وذلك لان الملك اما ان يكون من جملة

المخدوعين واما انهُ يخاف منها ان تفتن عليهِ رعيتهُ واما ان يستعين بها على نفوذ احكامهِ

وإذا تصفحنا التواريخ نرى كم من الملوك قد اعتزَّ سلطانهم بمواخاتهم لها. وقلَّما نرى ملكًا تزعزعت مملكتهُ وقامت الفتنة في رعيتهِ الا وكان السبب مصنوعًا بيدها. وما ذلك الا لغفلة الشعب وانقيادهِ لارشاداتها توهمًّا لفضيلتها مع انهُ لو تامل العاقل قليلاً في حركاتها وسكناتها لاتضح لديهِ جليًّا انها خزينة المكر وينبوع الشر تطغي الشعب بقولها لهم يا اولادي وهي الوحشة التي تفترسهم ولا ترغب سوى خيرها الخصوصي. وهذا يكفي لذوي العقول ان يعرفوا جسامة الاضرار التي تلحق بالخاضعين لتدابير هذه الطايفة وان اليد التي بها تباركم بها تزعزع المسكونة

الفصل الثاني

في كهنوت اليهود

ان الكهنوت في العهد القديم الموسوي ترتب بامرهِ تعالى لاجل الخُدَم الدينية كما يتضح من سفر الاحبار. وحُصِر في هرون وذريتهِ من سبط لاوي ومن كان منهُ خارجًا عن ذرية هرون لم يجُز لهُ تقليد الكهنوت بل تعيَّن لهُ خدم تتعلق بادوات القدس. وكان يترأس على الكهنة واحدٌ منهم يُدعَى حبرًا.

واعمال وظيفة الكهنوت مقررة ضمن السفر المرقوم وهي تنحصر في قضيتين احداهما دينيَّة كتقدمة القرابين وطلب المغفرة من الله لهم وللشعب. والاخرى طبيَّة كتمييز البرص الحقيقي عن الغير الحقيقي وعزل المرضى عن الاصحَّاء الى حين البرء وما اشبه ذلك من هذه الامور

الفصل الثالث

في اقسام الشريعة الموسويَّة

ان الشريعة الموسوية ثلثة اقسام. وهي الشريعة الادبية والشريعة الطقسية والشريعة السياسية. فالشريعة الادبية ينحصر ملخَّصها في وصايا الله العشر ولا يُعفَى احدٌ من حفظها. وهي الناموس الذي اشار اليهِ السيد المسيح بقولهِ ما جيت لأَحلَّ الناموس بل لأُكمّل وان السماء والارض تزولان وحرفٌ واحدٌ من الناموس لا يتغير حتى يكون كلهُ [1] والدليل على ذلك هو ان السيد بعد قولهِ هذا اخذ يفسر لهم الوصايا ويكمّلها بقولهِ قيل للاولين لا تقتل وانا اقول لكم كل من غضب على اخيهِ فقد وجبت عليهِ الدينونة. وقيل للاولين لا تزنِ وانا اقول لكم كل من نظر الى امراةٍ الى ان يشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ. وانهُ قيل

(١) متى ص ٥ ع ١٧ و ١٨

للاولين لا تحنث في يمينك . وانا اقول لكم لا تحلفوا البتة وليكن كلامكم نعم نعم ولا لا

واما الشريعتان الاخريان فلم يعلّم بهما بل حلّهما بتّةً بمنعهِ الطلاق وعدم اجازتهِ رجم الزانية . مع اشياَء كثيرة كتب الرسل في حلها كالختانة وتمييز المطاعم الى غير ذلك من الامور الطقسية والسياسية . فالشريعة الطقسية تتعلق بكيفية اجراَء الطقوس وتقدمة القرابين في الهيكل وقد بطلت حين خرابهِ . وهي خاصة باليهود اذ كان الهيكل عامرًا . واما الشريعة السياسية فهي تتعلق بالاحكام الزمنية كتوزيع المواريث وبيع العقارات وقصاص الجنايات . وكانت خاصةً بدولة اليهود فعندما زال حكمهم لم يبقوا ملتزمين بحفظها . وبالجملة ان احكام الشريعتين الطقسية والسياسية لا يلتزم بها المسيحيون لانها كانت خاصّةً باليهود مدة حكمهم وعمار الهيكل فزالتا بزوالهما

الفصل الرابع

في ذبائح العهد القديم

انهُ لامرٌ مسلَّمٌ من جميع طوايف المسيحيين ان الخطية استولت على جميع بني البشر حين سقوط والدينا الاولين ادم وحوّاَء وحُكِم علينا بالموت لمجرد الخطية الجدّية . ولما كانت

الخطية توجب موت فاعلها اوجد الباري تعالى لغزارة رحمتهِ طريقةً يفي بها الانسان عن بعض جرايمهِ الصغيرة دون الكبيرة (كالكفر وعبادة الاوثان وتعدّي السبت واهانة الوالدين والزناَء فيُعاقَب فاعلها بالموت) فكان يُقدَّم عن الصغاير من الذنوب ثورٌ او جديٌ او عصفورٌ ليُقتَل بدلاً عن مقدمهِ الذي يقدّم التوبة . والكاهن يستغفر لهُ عند تقدمتهِ تلك الذبيحة والباري يغفر لهُ . وبقي ذلك العمل الى اتيان المخلص الذي حمل خطايا العالم وقدّم نفسهُ ذبيحةً كافية عن خطايا جنس البشر . وحينئذٍ بطلت الذبايح ولم يَعُد لها لزومٌ كما تعلّمنا الكتب المقدسة باوضح بيانٍ

فمن يعتقد بعد اتيان المسيح بلزوم تقدمة الذبايح للاستغفار عن الخطايا فليس بمسيحي لانهُ ينقّص استحقاقات سر الفداَء ويُحسَب مرتدًّا الى شريعة اليهود الرمزية ومربوطاً تحت اللعنة كما علّم بولس الرسول(١)

الفصل الخامس

في ان الشريعة الموسوية رمزٌ عن الشريعة المسيحية

ان الرموز عن الشريعة المسيحية في العهد القديم لا تكاد

(١) غلاطية ص٣ ع١٠

تحصى. والسيد المسيح ورسلهُ الاطهار قد فسروا كثيرًا منها.
ولنذكر بعضها

ان الآباء القدماء كانوا رمزًا عن المسيح على انهُ بآدم كان موت العالم وبالمسيح كانت الحيوة. وبنوح خلص المومنون من الطوفان بواسطة السفينة والمسيح يخلّص المومنين بسفينة كنيستهِ. ويوسف بِيعَ من اخوتهِ حسدًا ووُضِع بين مجرِمَين خلص احدهما وهلك الاخر وباحتمالهِ المشقات اخذ ملك مصر وصار واسطةً لحيوة اهلهِ والمسيح بيع من اخوتهِ حسدًا وصُلِب بين لصَّين خلص احدهما وهلك الاخر وباحتمال الآلام صار واسطة لخلاصنا. وكما ان موسى قاد الاسرائيليين الى ارض الميعاد ولم يمكنهُ ادخالهم اليها حتى ادخلهم يشوع بن نون هكذا الشريعة الموسوية لم تقدر على ادخالنا الى ارض الميعاد السموية حتى ادخلنا اليها يسوع المسيح. وهكذا الكهنة والذبائح الموسوية هي رمزٌ عن الكاهن الوحيد وذبيحتهِ الطاهرة. فكما ان الكاهن الموسوي كان يقدم الذبيحة في الهيكل الارضي ليشفع في الشعب هكذا الكاهن العظيم يسوع المسيح يقدم ذاتهُ ذبيحةً عنا في الهيكل السماوي ويشفع فينا الى الابد

ولما كانت الشريعة الموسوية رمزًا عن الشريعة المسيحية او ظلاً لها او دليلاً عليها كانت الشريعة المسيحية هي الافضل لان المرموز عنهُ افضل من المرموز بهِ كما تفضل الحقيقة على الظل

والمدلول عليهِ على الدليل. وعند ما حصلنا على المدلول عليهِ لم تبقَ حاجةٌ الى الدليل. وهذا امرٌ واضحٌ لا ينكرهُ الا من اظلمت بصيرتهُ

الفصل السادس

في ان مجيء المسيح يستلزم بطلان الكهنوت والذبائح

لما كان الكهنة والذبائح التي كانوا يقدمونها هما رمزٌ عن السيد المسيح وذبيحتهِ الطاهرة وجب بطلان هذا الرمز عند ما اتى المرموز عنهُ. فاذا اعتقدنا وجوب بقائهما الى يومنا هذا نكون باقين على الشريعة الرمزية كاليهود ننتظر اتيان المخلص. فان كنا مسيحيين بالحق ونؤمن بالمسيح وانهُ اعتقنا من لعنة الناموس فالضرورة تلزمنا للاقرار بانهُ من بعد اتيانهِ واتمام سر الفداء لم يبقَ كهنة ولا احبار ولا ذبائح لانها كانت رسمًا لهُ. والاَّ فنعطّل سرَّ الفداء بكونهِ لا يكفي للغفران ومن ثمَّ نلتمس المغفرة بهذه الاعمال الخسيسة التي لا يمكنها ان تكمّل احدًا بدون المسيح. وهي ايضًا من الشريعة الطقسية التي تقدم البرهان على بطلانها حتى عند اليهود بسبب اتيان المخلص وزوال ملكهم من الارض المقدسة فكيف لم تبطل عند المسيحيين الذين لم يؤمروا بها اصالةً

الفصل السابع

في البرهان على ابطال الذبائح بعد مجيء المسيح

يجب اولاً ان نذكر نبوة دانيال على السيد المسيح اذ يقول اعلم وادرِ ان من خروج الكلام ان تُبنَى ايضاً اورشليم (اي من صدور امر ملك بابل في بنآيها) الى المسيح القايد سبعة اسابيع واثنين وستين اسبوعاً . وتُبنَى ايضاً السوق والاسوار في ضيقة الاوقات . وبعد الاثنين وستين اسبوعاً يُقتَل المسيح ولا يكون شعبهُ الذي سينكرهُ . والمدينة والقدس (اي الهيكل) يبددها الشعب مع القايد الآتي (قايد الرومانيين) وانقضآوهُ خراب . وبعد تمام القتال الخراب المقضيّ ويثبت العهد لكثيرين اسبوعاً واحداً . وفي نصف الاسبوع تبطل الذبيحة والقربان ويكون في الهيكل رجسة الخراب والى الفنآء والانقضآء يدوم الخراب[1]

ثانياً ان السيد المسيح قد اخبر بهذا الخراب عند ما تقدم اليهِ تلاميذهُ لكي يروهُ بنآء الهيكل فقال لهم انهُ لا يُترَك ههنا حجرٌ على حجرٍ الا ويُنقَض . فسالوهُ متى تكون هذه فاجابهم اذا رايتم رجسة الخراب الذي قيل في دانيال النبي قايمةً في المكان المقدس فليفهم القاري حينئذٍ الذين في اليهودية (منهم) يهربون الى الجبال وانهُ لا يعبر ذاك الجيل حتى يكون هذا[2] كذلك

(١) ص ٩ ع ٢٥ الى ع ٢٧ (٢) متى ص ٢٤

عند ما اخذوهُ ليُصلَب وكانت النسآء يندبنهُ وينحن عليهِ قال لهنَّ يا بنات اورشليم لا تبكين عليَّ لكن ابكين عليكنَّ وعلى اولادكنَّ الى اخرهِ[1] فنجزت نبوة دانيال وتمَّ قول المسيح في ذلك الجيل . وجآء تيطس قيصر بالعساكر الرومانية وحاصر اورشليم بحروبٍ هايلة ومضايقة كلية لم يكن مثلها في العالم قط وافتتحها عنوةً . وكان جملة مَن فقد من اليهود في تلك المحاربة الف الف وثلثماية الف نفس . وذلك وفآء لما نذروهُ على انفسهم ونقبَّلهُ الله منهم بان يكون دم المسيح عليهم وعلى اولادهم . واحترق الهيكل ثم نُقِضَت اساساتهُ ولم يبقَ منهُ حجر على حجر كقول المسيح . وبطلت الذبيحة ودام الخراب الى اليوم وسيدوم الى الابد

واذ قد فرغنا من تقرير نبوة دانيال وكلام المخلص ونجاز ما اخبرا عنهُ فلننظر الى تعاليم العهد الجديد . فبولس الرسول يعلّمنا ان سنَّة التوراة كانت مرشدةً لنا في المسيح لنتبرر بالايمان . فلما جآء الايمان لم نصِر تحت المرشد[2] اي لم نبقَ مرتبطين تحت اعمال الناموس القديم التي كان اخصُّها تقدمة الذبايح ولذلك قال ان كل الذين هم من اعمال الناموس فانهم تحت اللعنة . الى ان يقول اما نحن فقد اشترانا المسيح من لعنة الناموس[3] ومن

(١) لوقا ص ٢٣ ع ٢٨ (٢) غلاطية ص ٣ ع ٢٤ وع ٢٥ (٣) غلاطية ص ٣ ع ١٠ وع ١٣

ثمَّ يوبخ الذين يتكلون على الاعمال بقولهِ لهم قد تعطَّلتم من المسيح يا معشر الذين تتبررون بالسنَّة وسقطتم من النعمة(١) فهل يوجد اوضح من هذا التعليم بان الذين يتمسكون باعمال الناموس هم ساقطون من نعمة الله ومحرومون من استحقاقات سر الفداءِ . ومن كان هذا حالهُ لم يبقَ مسيحيًّا . وهذا الرسول المصطفى كان يدعو اعمال سنَّة التوراة ناموس الموت (او الهلاك) حيث قال في خطابهِ لكنيسة رومية اما الان فقد تبرينا من ناموس الموت الذي كان يمسكنا حتى نعبد الله بجدَّة الروح لا بعتاقة الكتاب(٢) وقال ايضًا في رسالتهِ الى العبرانيين ان المسيح بقربانٍ واحدٍ (قربان نفسهِ على الصليب) قد اكمل المقدسين (المومنين) الى الابد وانهُ حيث يكون الغفران لهذه فانهُ لا يحتاج الى قربانٍ عن الخطية . ثم يقول فان اخطانا بهوانا من بعد ان عرفنا الحق لم يبقَ لنا الان ذبيحة تُقرَّب عن الخطايا(٣) ويوحنا الانجيلي يعلّمنا بقولهِ ودم ابنهِ يسوع يطهرنا من كل خطية(٤) وان المسيح هو الغفران بدل خطايانا وليس بدل خطايانا فقط لكن ايضًا بدل خطايا العالم كلهِ(٥)

فهذه تعاليم دانيال النبي والسيد المسيح ورسلهِ الاطهار بان الذبيحة تبطل بمجيءِ المسيح والهيكل يخرب الى الابد وسنَّة التوراة

(١) غلاطية ص٥ ع٤ (٢) رومية ص٧ ع٦ (٣) عبرانية ص١٠
(٤) يوحنا اولى ص١ ع٧ (٥) ص٢ ع٢

تتلاشى وان المسيح هو الذبيحة الكافية عن جميع خطايا البشر الى الابد . واليهود انفسهم قد ابطلوا التكهين والذبائح وصار استعمالها عندهم من المحرَّمات . فهل بعد هذه التعاليم الالهية الواضح بيانها كالشمس يليق بالمسيحي العاقل ان يبخس قيمة سر الفداءِ ويظنَّ عدم كفايتهِ لمغفرة خطاياهُ ويتكل على ما يبهت عليهِ الاكليرس فيما اخترعوهُ بتقدمتهم عنهُ قرصةً من الخبز وكاسًا من الخمر على انها ذبيحة كافية لمغفرة الخطايا . انهم بصنيعهم هذا قد افسدوا سر الشركة المقدسة واهانوا فادي العالم حيث جعلوا ذبيحتهُ الطاهرة غير كلية الوفاءِ وان المسيحي يحتاج معها الى قرابينهم . فالعجب من راحة ضميرهم في تعليمهم هذا . فنسالهُ تعالى ان يهديهم الى معرفة الحق

الفصل الثامن

في ان ذبيحة المسيح واحدة لا تتكرَّر

ان الكتب المقدسة تعلّمنا بوحدانية الله ووحدانية المسيح ووحدانية حبريتهِ وكهنوتهِ ووحدانية ذبيحتهِ وشفاعتهِ ووحدانية ملكوتهِ ووحدانية جهنم مكان عقابهِ للمجرمين . فمخالفونا لم يبقَ عندهم من هذه الوحدانيات سوى وحدانية الله لانهم اشركوا اسقف رومية مع المسيح وجعلوهُ راسًا لكنيستهِ مسلَّطًا في السماءِ

والارض . واما كهنوتهُ وحبريتهُ فقد شاركهُ فيهما طغمة الاكليرس كما اشركوا خبزهم وخمرهم بذبيحتهِ الطاهرة . واما الشفاعة فقد اشركوا فيهـا انفسهم وجميع المليكة والقديسين . واما الملكوت وجهنم فقد اشركوا فيهما مكانًا متوسطًا سموهُ مطهرًا فمن دخل اليهِ يطلبون شفاعته ويصلُّون لهُ ويصلُّون لاجلهِ بالثمن بفعلٍ متناقض حال كونهِ تحت العذاب كالهالكين في جهنم

وقد تكلمنا في مكانٍ اخر على هذه الاشتراكات واما هنا فنتكلم على الذبيحة وكونهـا واحدةً لا تقبل التكرار . فاما كونها واحدةً فقد قررنا في الفصل السابع تعليم بولس الرسول بان المسيح بذبيحتهِ مرةً واحدة اكمل الى الابد المومنين وانهُ لا يحتاج الى قربانٍ اخر عن الخطية وانهُ لم يبقَ لنا ذبايح تُقرَّب عن الخطايا . وهذا يكفي لعدم لزوم تكرارها . هذا وان الرسول المشار اليهِ لم يترك محلًّا لاحتجاج مخالفينا بقولهِ ان المسيح اتى لا لكي يقدم نفسهُ مرارًا بل مرةً واحدة(١) واذا قرب نفسهُ هذه المرة الواحدة ولم يبقَ لنا ذبايح لتُقرَّب عن الخطايا . فما هو الذي يقدمهُ القسوس الان في قداساتهم هل هو المسيح عينهُ ام غير المسيح . فان كان هو المسيح فلم ياتِ ليُذبَح مرارًا وان كان غير المسيح فالرسول علَّمنا انهُ لم يبقَ لنا ذبايح تقرب عن الخطايا . فالنتيجة كلية الوضوح ان ما يصنعونهُ مخالفٌ بالكلية للشريعة الانجيلية

(١) عبرانية ص٩ ع٢٨

وكيف يسوغ لذلك القس ان يطعن الخبزة المزمع ان يقدسها ويقول ان واحدًا من الجند طعنهُ في جنبهِ بحربةٍ وللوقت خرج دمٌ وماءٌ . واين هو الدم والماءَ الذي يخرج منها حال كونها لم تكن تقدست منهُ بعد ولا استحالت الى مسيحٍ كزعمهِ . واذا كانت هي المسيح فبايِّ قلبٍ قاسٍ يتجرأُ على طعنهِ ويقلّد بعملهِ جنود الوثنيين . واين يوجد هذا التعليم في الكتب المقدسة . العلهم عدموا مخافة الله وارتفعت خشيتهُ من قلوبهم . فهو وحدهُ القادر ان ينظّف نياتهم وينير عقولهم ليرفضوا هذه الاباطيل

الفصل التاسع

في ان السيد المسيح بعد صعودهِ الى السماءَ لا يمكن وجودهُ بيننا بالجسد على الارض الا حين مجيئهِ الثاني للدينونة العامة

اننا نقرأُ في قانون ايمان المجمع النيقاوي الذي يعتمد عليهِ الكاثوليكيون حيث يقرُّ بان المسيح صعد الى السماءَ وجلس عن يمين الاب وايضًا ياتي بمجدٍ عظيم ليدين الاحياءَ والاموات . وهكذا نقرأُ في اجوبة السيد مكسيموس الثمانية عشر التي يذكر انهُ حررها الى احد علماءَ الاسلام في مصر سنة ١٨٢٧ على سرا التجسد حيث يقول في العدد الثاني من جوابهِ على السوال الرابع عشر هكذا ان الناسوت فقط في المسيح (اي جسمهُ البشري ونفسهُ

الناطقة) اي صورة الجسم هو وحدهُ الذي انحصر ليس فقط في بطن مريم العذراءَ والدتهِ مدة الحَبَل بل ايضًا في كل اينٍ وُجِد هو فيهِ زمان حيوتهِ على الارض وغب موتهِ في القبر وبعد قيامتهِ وصعودهِ الى السماءَ وفي دوامهِ الى الابد لان هذا الناسوت ولئن تقمَّ اقنوم الكلمة الالهي وفاز بهذا الشرف العديم المثيل على الاطلاق فمع ذلك لبث كما هو ماديًّا منحصرًا في اينٍ دون غيرهِ . انتهى

فهذا هو عين المعتقد البروتستانتي من دون ادنى خلاف . فلا اعلم كيف بعد اقرارهم هذا في قانون ايمانهم وفي تعاليم روساَيهم يزعمون الان ان المسيح يحضر بين ايديهم بالجسد في كل وقتٍ صنعوا فيهِ عشية الرب . ويكون الخبز والخمر هو ذات السيد المسيح كاملاً بلاهوتهِ وناسوتهِ بين يدي كل قسيسٍ منهم ويتعدد وجودهُ كتعدادهم مع انهُ واحدٌ وجالسٌ في السماءَ عن يمين الاب . فاين يبقى الحصر الذي قررهُ غبطته عندما يوجد بالجسد في كل اينٍ في وقتٍ واحدٍ الامر المستحيل امكانهُ على الاجسام . وعلى ايَّة آيةٍ من الكتاب المقدس يسندون تعليمهم بهذا وبان العشاءَ الرباني هو ذبيحةٌ يقدمها الاكليرس بالثمن عن خطايا الشعب . فالتعاليم الالهية لا يوجد فيها ذلك البتة والسيد المسيح قال لهم اصنعوا هذا لذكري[1] وبولس الرسول يعلّمنا ان كلما اكلنا

(١) لوقا صَ ٢٢ عَ ١٩

من هذا الخبز وشربنا من هذه الكاس انما نذكر موت الرب الى يوم مجيئهِ[2] ولا يمكن تفسير هذا التعليم وتوجيه معناهُ الى الذبيحة

(٢) قرنثية اولى صَ ١١ عَ ٢٦

والاستحالة ولو مهما اجتهدوا في استعبادهِ للمعنى المقصود منهم فانه اذا كان كسر الخبز تذكارًا للمسيح الى حين مجيئهِ فلا يصح ان يكون المسيح حاضرًا حين كسرهِ . والا فلا يكون تذكارًا بل استحضارًا . فلو كان القول انكم كل ما صنعتم هذا تستحضرون المسيح الى الارض لكان يوجد وجه لدعواهم تمسكًا بالنص ولئن كانت مستحيلة في ذاتها . ولما كان ذلك تذكارًا لم يمكن ان يكون المسيح حاضرًا بالجسد . فلا اعلم ان كان يوجد لكنيستهم قوانين لغة خصوصية يستندون اليها فيما يعاكسون بهِ المعاني الواضحة . وهذا كفاية

الفصل العاشر

في ان العهد الجديد لم يكن فيهِ حبرٌ ولا كاهن غير المسيح

انني اوضحت في الفصول السابقة بدلايل الكتب المقدسة ان وجود الكهنوت في العهد القديم انما كان بالاخص لاجل تقدمة الذبايح والاستغفار عن الشعب . وان ذلك كان رمزًا عن السيد المسيح الذي صار ذاتهُ الكاهن الوحيد والذبيحة

الكافية . وانهُ بذبيحتهِ مرةً واحدة اعطى الكمال لجميع المومنين بهِ الى الابد . وانهُ تفرَّد بالشفاعة كما يعلمنا بولس الرسول بقولهِ ان الله واحدٌ والوسيط بين الله والناس واحد وهو يسوع المسيح(١) وقد حدد وحدانية وساطة المسيح كوحدانية الله . فاذا كان ذلك كذلك فما هي الحاجة الى الكهنة والذبائح . وهل ذبيحة المخلص ناقصة حتى نكمّلها بخبزنا وخمرنا ام ان المسيح لا تكفي شفاعتهُ لخلاصنا ويفتقر الى مساعدة قسوس الكنايس

على ظني انهُ لا يليق بالمسيحي ان يتصل غلطهُ الى هذا الحد حتى يعتقد عدم كفاية شفاعة المسيح وذبيحتهِ ومن ثمَّ يتكل على ما يموّه بهِ الاكليرس من شفاعتهم وذبائحهم الوهمية . واذا كان لا يوجد مسيحيٌّ يتصل الى ذلك فالضرورة توجب عدم لزوم الكهنة والذبائح في العهد الجديد . واذا امتنع هذا اللزوم فالسيد المسيح لا يضع تعليمًا غير ضروري ويحتم علينا بحفظهِ . والقول بضرورتها ينفي كفاية سر الفداءَ

هذا وان الذبائح هي شريعةٌ طقسية قد بطل حكمها حتى عند اليهود المامورين بحفظها . فلو حكمنا بلزومها لوجب علينا حفظ كامل الشريعة الطقسية كالختان وعمل الفطير وعيد المظال ويوم الكفّارة وتطهير الحايض والنفساءَ الى غير ذلك من الطقسيات التي لم يتمسك المسيحيون بواحدةٍ منها . وبما ان

(١) تيموثاوس اولى ص٢ ع٥

الذبائح من جملتها فبالضرورة ان يكون جميعها تحت حكمٍ واحدٍ سلبًا وايجابًا

هذا عدا ما نتعلمهُ في هذا الخصوص بكل صراحةٍ من كتب العهد الجديد . ويكفي ما اوضحهُ لنا بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين حيث يقول عن السيد المسيح انهُ يقوم حبرٌ اخر يشبه ملكيزداق الذي ليس مصنوعًا حسب سنَّة الوصية بل حسب قوة الحيوة التي لا زوال لها . الى ان يقول وانما كانت رذالة الوصية الاولى لضعفها وانهُ لم يكن فيها منفعة(١) ثم يقول لانهُ كل رئيس احبارٍ انما يقام ليقرب القرابين والذبائح ولذلك كان يجب لهذا (الرئيس) ان يكون لهُ ما يقدمهُ . ولو كان هنا (اي المسيح) مقيمًا في الارض اذًا لم يكن حبرًا لانهُ قد كان احبارٌ يقربون القرابين على ما في الناموس اوليك الذين يعبدون مثال وظلَّ السمويات(٢) ثم بعد ذلك يقول لا بدم تيوسٍ او عجول ولكن بدم نفسهِ دخل (المسيح) مرةً واحدة الى القدس فوجد الخلاص الابدي(٣) الى ان يقول ولا ليقرب نفسهُ مرارًا كثيرة كما كان رئيس الاحبار يدخل كل سنةٍ الى القدس بدم غيرهِ . ولولا ذلك كان حقيقًا ان يُؤلَّم مرارًا كثيرة منذ بدء العالم ولكنهُ الان في انتهاءَ العالمين بذبيحتهِ ظهر مرةً واحدة ليبطل الخطية .

(١) عبرانيين ص٧ ع١٥ وع١٦ وع١٨ (٢) ص٨ ع٤ وع٥
(٣) ص٩ ع١٢

وكما حُتِمَ على الناس ان يموتوا مرة واحدة ثم بعد هذا هي الدينونة هكذا المسيح قرب نفسه مرة واحدة ليرفع خطايا كثيرين وسيظهر المرة الثانية بلا خطيةٍ للذين يترجونهُ للخلاص(١) فتامل ايها المطالع في المماثلة التي جعلها الرسول بانهُ كما ان الموت مرة واحدة لا تتكرر الى يوم القيامة هكذا ذبيحة المسيح هي مرة واحدة لا تتكرَّر الى يوم حضورهِ لدينونة العالم

وهذا الرسول يعلمنا صريحًا بدوام حبورية المسيح وعدم انحلالها الى الابد وان كثرة الاحبار كانت عند اليهود بسبب موت الحبر وعدم دوامهِ . فقال كان الاخرون احبارًا كثيرين لانهم ممنوعون بالموت عن ان يدوموا . واما هذا (اي المسيح) فلاجل انهُ دايمٌ الى الابد لا انقضاء لحبوريتهِ ولهذا يقدر ايضًا ان يخلص الى ابد الدهور الذين يتقربون الى الله على يدهِ انهُ حيٌّ في كل حينٍ يشفع عنا(٢) فاذا كان المسيح دايمًا الى الابد لا انقضاء لحبوريتهِ ويقدر ان يخلص الى ابد الدهور جميع الذين يتقربون الى الله على يدهِ فما هي الحاجة الى حبورية البشر وذبايحهم وشفاعتهم . لان الله لم يترك محلاًّ لشفاعتهم بل حصر ذلك في المسيح وحدهُ كما علَّم بولس الرسول ان الوسيط هو يسوع المسيح وحدهُ . ولذلك لم تبقَ وساطةٌ لغيرهِ لا من البشر ولا من المليكة . ومن قال غير ذلك فهو متمرد على تعاليم الكتب المقدسة

(١) ص٩ ع٢٥ الى ع٢٨ (٢) عبرانية ص٧ ع٢٢ الى ع٢٥

فهذه تعاليم الرسل انفسهم بسطناها امام اعين مخالفينا وهي صريحة النص تقدر الاطفال على فهمها . فماذا عساهم يناقضونها او يحوّلون معناها عن صريح النص . او ماذا يقولون عن حبريتهم وذبايحهم التي يقدمونها هل هي عين ذبيحة المسيح فالرسول يقول ان المسيح قرب نفسهُ مرةً واحدة لا يجوز تكرارها . وان قالوا هي غيرها فنجاوبهم انهُ لم تبقَ لنا ذبايح نقرب عن الخطايا . فاذًا صارت ذبايحهم من الاعمال الباطلة التي لا ثمرة لها

واما عن حبريتهم فقد قال بولس الرسول عن المسيح نفسهِ لو انهُ كان مقيمًا في الارض لم يكن حبرًا . وحيث حضرتهم مقيمون على الارض يلزم ان تكون دعواهم بالحبرية باطلة من عين ذاتها لانهم ليسوا باعظم من المسيح حتى يستحقوها وهم بيننا . فضلاً عن انهُ لا يصح تعداد الاحبار في زمانٍ واحد وهم يوجدون الوفًا من الاحبار سويةً . وهذا كافٍ لدحض ما يزعمونهُ في هذه القضيَّة

الفصل الحادي عشر

في ان الكهنة المذكورين في العهد الجديد هم عموم المسيحيين وليس ذلك خاصًّا بالاكليرس

ان الكتب المقدسة تعلّمنا بان المومنين بالمسيح هم ابناء الله واخوة المسيح وشركاوهُ في ملكوتهِ وكهنوتهِ بلا استثناء

اما كونهم ابناء الله فلقوله تعالى طوبى لصانعي السلام فانهم ابناء الله يُدعَون(١) والسيد المسيح علّمنا ان نصلي قايلين يا ابانا الذي في السموات(٢) وقال بولس الرسول ان جميع الذين يتدبرون بروح الله هولاء هم ابناء الله(٣) وعن لسانه تعالى انا اقبلكم واكون لكم ابًا وتكونون لي بنين وبنات(٤) وقال تعالى الذي يغلب يرث هذا (اي الملكوت السماوي) واكون لهُ الهًا وهو يكون لي ابنًا(٥)

واما كونهم اخوة المسيح فلقوله ان كل من صنع مشية ابي فهو اخي واختي(٦) وبولس الرسول يقول ان الذين عرفهم (الله) بسبق علمٍ واقصدهم ان يصيروا شركاء لشبه صورة ابنه ليكون هو بكرًا لاخوةٍ كثيرين(٧) ويقول ايضًا ان ذلك الذي قدّسهم والذين قُدِّسوا هم جميعًا من واحدٍ فلذلك لم يستحي من ان يسميهم اخوته(٨)

واما كونهم شركاء المسيح في ملكوته وكهنوته فيثبت اولًا من تعليم يوحنا الانجيلي بقوله رايت الذين قُتِلوا لاجل شهادة يسوع ولاجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يُرسَموا

(١) متى صـ٥ عـ٩ (٢) متى صـ٦ عـ٩ (٣) رومية صـ٨ عـ١٤ (٤) قرنثية ثانية صـ٦ عـ١٨ (٥) رويا صـ٢١ عـ٧ (٦) متى صـ١٢ عـ٥٠ (٧) رومية صـ٨ عـ٢٩ (٨) عبرانية صـ٢ عـ١١

برسمه في جباههم او في ايديهم وعاشوا وصاروا ملوكًا مع المسيح. الى ان يقول وعلى هولاء لاتكون قدرةٌ للموت الثاني لانهم يكونون كهنة الله ومسيحه ويتملكون معهُ(١) ومن خطابه الى السبع كنايس في اسيا اذ يقول من يوحنا السلام والنعمة من الله ومن يسوع المسيح الذي صنعنا مملكةً وكهنةً لله ابيه. الى قوله انا يوحنا اخوكم وشريككم في الشدايد والملك والصبر(٢) ومن المعلوم ان الكنايس هي عموم المومنين ولاسيما ان الرسول يسمي قسوس الكنايس مليكتها اي رسلها فلا يمكن تخصيص الكهنوت بهم. ثم ان هذا الانجيلي يقول ان الاربعة حيوانات والاربعة وعشرين شيخًا سجدوا قدام الخروف قايلين انك اشتريتنا لله بدمك وصنعتنا لالهنا مملكةً وكهنةً ونملك على الارض(٣) وهكذا قول السيد المسيح الذي يغلب اعطيه ان يجلس معي على كرسيٍّ مثلما غلبت انا وجلست مع ابي على كرسيه(٤) ويقول ايضًا لتكون لكم ايضًا شركة معنا وتكون شركتنا مع الاب ومع ابنه يسوع المسيح(٥)

ثانيًا يثبت ذلك من تعليم بولس الرسول بقوله ان صبرْنا فسنملك معهُ(٦) وقوله ان الله امينٌ الذي به دُعيتم الى شركة ابنه يسوع المسيح(٧)

(١) رويا صـ٢٠ عـ٤ الى عـ٦ (٢) رويا صـ١ عـ٤ الى عـ٩ (٣) رويا صـ٥ عـ٨ الى عـ١٠ (٤) رويا صـ٣ عـ٢١ (٥) يوحنا اولى صـ١ عـ٣ (٦) تيموثاوس ثانية صـ٢ عـ١٢ (٧) قرنثية اولى صـ١ عـ٩

ثالثًا يثبت من تعليم بطرس الرسول بقولهِ نحونا ابنوا نفوسكم عليهِ (لا عليَّ) كالحجارة الحيَّة بيتًا روحانيًّا كهنوتًا مقدسًا لتقربوا قرابين روحانية مقبولة عند الله على يدي يسوع المسيح. الى ان يقول اما انتم فانكم انسباءُ مختارون وكهنوت ملوكي وامة مقدسة وشعب مقتنى[1]

رابعًا ان اشعيا النبي يصرّح في نبوتهِ باوضح بيان عن تعميم الكهنوت بعد المسيح وانهُ لم يعُد كهنة مخصوصون كالعهد القديم فيقول نحو المومنين اما انتم فتسمَّون كهنة الرب خُدَّام الهنا يقال لكم قوة الامم تاكلونها وفي كرامتهم انتم تتكبرون[2]

فهذا ما تنبأَ عليهِ اشعيا النبي في العهد القديم وعلَّم بهِ السيد المسيح والرسل الاطهار بنصوصٍ صريحة غنيَّة عن حكم قاضيهم الاعلى على معانيها بانهُ لا فرق بين القسوس والشعب في قضيَّة الكهنوت بل هم فيهِ على حدٍّ سوآءٍ لان التعاليم الالهية لم تجعل بينهم امتيازًا في ذلك

فمن بعد هذا لا نعلم بايِّ حجةٍ ساغ للاكليرس ان يخص نفسهُ بالكهنوت وانهُ يقدم ذبائح ناطقة وغير دموية كما لا نعلم كيف يمكن وجود ذبائح هذه صفتها اذ لا يوجد مخلوق حي ناطق غير دموي سوى الملئكة وارواح البشر وهي ليست اجسامًا

(١) بطرس اولى ص٢ ع٥ وع٩ (٢) اشعيا ص٦١ ع٦

ليُستطاع ذبحها. هذا وانهم يزعمون ان ما يذبحونهُ هو جسمٌ فكيف يمكن ان يكون حيًّا وناطقًا وغير دموي. وكيف ان ذبيحة غير دموية تكفّر الخطايا حال كون الكتب المقدسة تعلّمنا انهُ ليس مغفرة الا بسفك دمٍ[1] فتعاليم مخالفينا بذلك ما هي الا من قبيل الهذيان

فان قالوا حيث وُجِد الكهنوت فالذبائح مرتبطة بهِ كارتباطهِ بها. فالجواب لو وجب تقدمتها لكانت مشاعة لافراد المومنين لا خاصة بالاكليرس لتعميم الكهنوت المسيحي وان ذبائح العهد الجديد هي روحانية لا جسمية فذبائحكم خبز وخمر تزعمون انها لحم ودم ثم تنكرون كونها دموية وهذا لم نجد فيهِ تعليمًا في الكتب المقدسة بل نتعلم منها ذبائح يقدمها كل مومنٍ اينما وجد. ولا فرق فيها بين القسوس والشعب كما سنتكلم عليها في الفصل الاتي

الفصل الثاني عشر

في ذبائح العهد الجديد

ان الذبائح الموسوية لم يُؤْذَن لهم في تقديمها خارجًا عن الهيكل وقد تحرَّمت عليهم بعد خرابهِ. ومن لوازم مجيء المخلص

(١) عبرانية ص٩ ع٢٢

بطلانها كما مرَّ من نبوة دانيال . وبحسب تغيير الشريعة وجب التغيير في الكهنوت والذبائح والا لبقيت الشريعة الرمزية على حالها . وهذا التغيير قد تنبأَ عليهِ اشعيا بالروح القدس قايلاً هنذا اخلق سموات جديدة وارضًا جديدة ولا تُذكَر القديمات ولا تصعد على القلب[١] الى ان يقول السماء كرسيَّ والارض موطئ رجليَّ فايُّ البيت الذي تبنون لي واي المكان لراحتي جميع هذه عملتها يدي وصنعت جميع هذه يقول الرب من انظر اليهِ الا المسكين والمنسحق الروح والخاشي لكلامي . من يذبح ثورًا فهو مثل من يقتل انسانًا . من ذبح خروفًا مثل من يقدم دم خنزير . الذي يذكر اللبان مثل من يبارك وثنًا[٢]

واما في العهد الجديد فلا يوجد ذبيحة حية سوى ذبيحة المخلص الوحيدة وما عداها يسمى ذبائح مجازًا كقول داود النبي اذبحوا للرب ذبيحة الصدق[٣] والذبيحة لله روحٌ منسحق[٤] فهل الصدق وانسحاق القلب حيوانان ليُذبَحا . وقال هوشع النبي توبوا الى الرب وقولوا لهُ فانزع كل الاثم خذ الخير ونردُّ عجول شفاهنا[٥] فشفاه البشر ليست صيرة للبقر . ويونان اذ صلَّى لله في بطن الحوت قال اما انا فبصوت الشكر اذبح لك . فهل كان صوتهُ سكينًا او يوجد في بطن الحوت ثيران وتيوس ليذبح

(١) اشعيا ص٦٥ ع١٧ (٢) اشعيا ص٦٦ ع١ الى ع٣
(٣) مزمور٤ ع٥ (٤) مزمور٥٠ ع١٧ (٥) هوشع ص١٤ ع٢

منها . ومما ورد في العهد الجديد قول بولس الرسول ارغب اليكم يا اخوتي ان تقيموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مقبولة لله خدمتكم الناطقة[١] فهل يلزمنا ان نذبح انفسنا ام ان ذلك مجازٌ . ويقول ايضًا اخذت من ابفروديطس ما ارسلتموهُ عرفًا طيبًا وذبيحة متقبَّلة مرضية لله[٢] فلا نعلم ما يحكم بهِ ذاك القاضي الموهوم على معنى هذا القول هل ما ارسلوهُ لبولس كان ثورًا من البقر او تيسًا من الماعز مما كان يذبحهُ بنو اسرائيل ام قرصةً من الخبز وكاسًا من الخمر مما يذبحهُ الان مخالفونا . اما نحن فنفهم ان ما ارسلوهُ كان شيئًا من الدراهم النقدية معونةً لمعاشهِ . فالرسول يعلمنا صريحًا ماهية ذبائح العهد الجديد في ما ذكرناهُ وفي قولهِ ايضًا فعلى يدهِ (اي المسيح) فلنرفع ذبيحة الحمد في كل حينٍ الى الله التي هي ثمرة شفاهنا الشاكرة لاسمهِ ولا تنسوا الاحسان والشركة انما يرضى الله بهذه الذبائح[٣]

فهذه هي ذبائح العهد الجديد التي حصرها الرسول بقولهِ انما كما حصر سر الافخارستيا بذكر المسيح . ومن المعلوم ان هذه الذبائح لا تختص بالقسوس بل هي مشاعةٌ لجميع المومنين يستطيع كل مومنٍ على تقدمتها . واما الذبائح التي يذبحونها بالثمن عن الشعب في سر الافخارستيا فما عليها دليلٌ من التعاليم

(١) رومية ص١٢ ع١ (٢) فيلبسيوس ص٤ ع١٨ (٣) عبرانية ص١٣ ع١٥ وع١٦

الالهية . ومن يتمسك بها فقد ارتد عن الشريعة المسيحية الى شريعة الاعمال الرمزية . وهذا كفاية لدحض هذه الدعوى

الفصل الثالث عشر

في ان الاسقف او القسيس لا يلزم ان يكون حبرًا او كاهنًا

ان اسمَيْ الاسقف والقس لا يفيدان معنى حبر او كاهن . فالاول معرَّبٌ عن ايسكوبوس باليونانية ومعناهُ راعٍ او ناظر والثاني عن قاشيشو بالسريانية ومعناهُ شيخ لا اكثر . فالراعي او الناظر لا يستلزم الحبرية لان موسى النبي وداود الملك كانا راعيين وصموئيل النبي كان ناظرًا ولم يكن واحدٌ منهم حبرًا . وكذلك الشيوخ الذين انتخبهم موسى النبي لمعونتهِ في سياسة الشعب لم يذكر انهم صاروا كهنة . وهكذا الاحبار والكهنة في العهد القديم لم يكونوا هم الرعاة او النظَّار

فاذًا اسما الاسقف والقس ليس بينهما وبين الكهنوت ارتباط وملازمة او وجه استدلال بالواحد منهما على الاخر . ولهذا كان غير ضروري ان الاساقفة والقسوس يكونون من ذوي الكهنوت . وهذا واضحٌ بصريح النصوص الالهية

الفصل الرابع عشر

في ان الوظايف التي اقامها الرسل في الكنايس لم يكن منها وظيفة كهنوتية وارباها لم يُعطَوا تمام سلطان الرسل

ان بولس الرسول يعلّمنا ان الله وضع في بيعتهِ اولًا الرسل وثانيًا الانبياءَ وثالثًا المعلمين ومن بعدهم القوات ومواهب الشفاءِ ومعونات وتدابير وانواع اللغات وترجمتها(١) ويقول ايضًا ان المسيح اعطى بعضًا ان يكونوا رسلًا وبعضًا انبياءَ وبعضًا مبشرين وغيرهم رعاة ومعلمين(٢) ولم يذكر قط انهُ اعطى احدًا وظيفة كهنوتية

فاذا كان الرسول لم يعلّمنا بوجود هذه الوظيفة في كنيسة المسيح لا بل في رسالتهِ الى العبرانيين ينفي وجودها ويخصصها بالمسيح ولم يكن يدّعيها لنفسهِ قط ولا لاحدٍ من اخوتهِ الرسل فاذًا الاساقفة والكهنة الموجودون الان عن من اخذوا هذه الخلافة لاننا نعلم ان كهنوت اليهود قد انتهى في قيافا افلعلّهم قد تخلّفوا عنهُ حيث يدّعون بصلبهم المسيح يوميًّا في قداساتهم . فنحن لا نرغبها لهم ولو اختاروها لانفسهم

واذا كانت دعواهم بالخلافة هي عن المسيح فلا تصحُّ من وجهين ولا يكون فيها مشاكلة . فالوجه الاول لكون المسيح هو

(١) قرنثية اولى ع١٢ ع٢٨ (٢) افسس ع٤ ع١١

الحبر والكاهن الى الابد وان الحبرية واحدةٌ لا تتجزأُ ولا يمكن تخلفها لغيرهِ ما دام حيًّا . واذ كان المسيح حيًّا الى الابد لم يكن انحلالٌ لحبريتهِ لكي يتقلد بها غيرهُ

واما الوجه الثاني فلكون كهنوت المسيح هو غير كهنوت اليهود لانهم يقدمون ذبائح اجنبية من الحيوان . واما المسيح فقدم نفسهُ وصار هو الذبيحة والكاهن معًا . واما الذين صلبوهُ فلم يُحسَبوا بفعلهم كهنةً ولهذا لا يكون مشاكلة بين كهنوت الاكليرس وكهنوت المسيح الا اذا قدموا ذواتهم للصلب وتشبهوا بهِ ليصيروا كهنةً وذبائح معًا . واما اذا ادَّعوا بانهم يقدمون المسيح فتكون ذبائحهم اجنبية نظير تقدمة اليهود لا بل في علمهم هذا يشتركون مع قيافا وجنود الرومانيين ويكونون خلفاءَهم لا خلفاءَ المسيح لتجاسرهم على قتلهِ

فمما تقدم تقريرهُ يتضح جليًّا لمن يقصد التمسك بالحق ويرفع عن اعين قلبهِ برقع الغرض الجنسي والتعصب الوراثي ان الوظايف التي وضعها المسيح في كنيستهِ لم تكن واحدةٌ منها كهنوتيةً وان التكهين الذي يستعملهُ الاكليرس الان هو مغايرٌ بكليتهِ لكهنوت اليهود ولكهنوت المسيح وغريبًا عنهما لان الاول يستدعي تقدمة الحيوان والثاني تقدمة نفس الكاهن وهم لا يقدمون الحيوان ولا انفسهم بل خبزًا وخمرًا يزعمونهُ مسيحًا وربًّا وبذلك صيَّروا كهنوتهم شبيهًا بالكهانة واحتقروا سر الافخارستيا المقدس

واحرموا انفسهم والمومنين من استحقاقهِ . والعجب من سذاجة الشعب في تصديقهم هذا بدون بيّنة ولا برهان

فنسال هولاءِ المدَّعين ان بولس الرسول عدَّد لنا الوظايف الكنايسية كما سبق فيا ترى باية وظيفةٍ منها تقلدتم . ولربما روح الكبرياءِ والشراهة يمد ايديهم لتناول الوظايف العليا بان البابا والبطاركة والمطارنة هم القايمون مقام الرسل والانبياءِ . فنطلب منهم علامة رسوليتهم او نبوتهم او خلافتهم عنهم لانهم يزعمون انهم ورثوا سلطانهم والروح الذي كان عليهم . فنقول ان موسى النبي لم يصدّقوا رسالتهُ حتى القى عصاهُ فصارت حيةً وضرب بها البحر فشقَّهُ والصخرة فاخرج منها ماءً . وايليا صلَّى فمنع المطر ثلث سنين وستة اشهر ثم انزلهُ بكلمة فمهِ وبارك على جرة الدقيق وقلة الزيت فلم تفرغا حتى امطرت السماءُ . وبطرس كان ظلهُ يبري المرضى . وبولس كانوا يستشفون بثيابهِ . واما يشوع خليفة موسى فقد اوقف الشمس وبهتاف الابواق هدم حصون اريحا . واليشع خليفة ايليا اقام الميت وارسل دبَّين افترسا اثنين واربعين صبيًّا ممن استهزأ بهِ . ويوسف عبَّر حلم فرعون واخبر عما يكون من الرخاءِ والجدب في مدة اربع عشرة سنة . ودانيال فسَّر حلم بختنصر واخبر عن المسيح وقتلهِ وخراب الهيكل وبطلان الذبيحة وقد تمَّ جميع ذلك وأُلقِي في جب السباع فحنَّت اليهِ ولم تضرَّهُ . وغيرهُ اخبر عما يكون فيما بعد

وصدقت نبواتهم جميعاً . فنرغب ان تبرهنوا على دعواكم بشيء من ذلك لنذعن لكم . وربما حينئذٍ يتنزلون عن هذه الدعوى لاستدعآيها البرهان وهو ليس في طاقتهم ويقفون عند الوظايف الاخيرة انهم رعاة ومعلمون . وهذا نسلم لهم فيهِ اذا وقفوا عند الحدود وسلكوا بمقتضى الشروط . اما الحدود فان لا يدّعوا بمماثلتهم للرسل ولا بانهم حازوا مواهب الروح القدس نظيرهم بل انهم خدام الكنيسة . واما العمل بمقتضى الشروط فهو الاقتصار على وظيفتهم مبتعدين عن التداخل في الاحكام المدنية وان يبشروا ويعلّموا بمقتضى صريح نصوص الكتب المقدسة فلا يزيدوا على كلام الله ولا ينقصوا منهُ[1] لا ان يعلموا وصايا الناس التي لفّقوها في مجامعهم ونهى عنها المسيح نفسهُ وسماها العبادة الباطلة[2] ويتركوا اناجيلهم التي يبشرون الناس بها ككتاب الانطوين والسنكسار وبستان الرهبان والامجاد والاباطيل وغيرها . واما ما داموا يصرّون على دعاويهم ويوسوسون في صدور الناس بتعاليمهم المخترعة ويدخلون فينا من بابٍ ويخرجون من غيره كمن يمشي على محيط دايرةٍ لا وصول الى نهايتها فالضرورة تلجيء العاقل الى الفرار منهم والاقتراب الى من يبشر بالانجيل حيث لا يوجد تعليمٌ خلاصيٌّ خارجاً عنهُ

(١) استثنا ص٤ ع٢ (٢) متى ص١٥ ع٩

وان تعاليمهُ هي الكنيسة التي يهلك كل من كان خارجاً عنها

وبما ان هذه الزمرة ادّعت بما ليس لها فقد خلعت نفسها من وظايفها الاصلية وعدمت ما كان يحق لها على الشعب . ومن ثمَّ لا يجب ان نعتبرهم كخدام المسيح بل كمحاربين ومضطهدين لانجيلهِ ونتحفظ من تمويهاتهم ليلا نسقط في الفخ المخبوء تحت اسم وظيفتهم التي عدموا حقوقها

الفصل الخامس عشر

في ان كثيرين من الناس يقدمون العبادات الباطلة ويظنون ان الله يرتضي بها

قد تكلمنا حسب الاقتضآء في تفنيد دعوى الكهنوت والذبائح الموهومة . وهنا نوضح قضيةً جزيلة الاعتبار . وهي ان اكثر اشخاص طوايف النصارى السالكين على غير المذهب الانجيلي عندما يرون انقطاع حججهم مع البروتستانتيين يلتجئون الى التمسك بالقضية التي يموّه بها عليهم قسوسهم بان ما يقدمونهُ من العبادات الغير المامور بها من الله كعبادة سر الافخارستيا والمليكة والقديسين والايقونات وتقدمة القداسات للمغفرة وعمل الغفرانات والزيارات وتخصيص شهر ايام لعبادة مريم

العذراء المباركة المخترَع في عصرنا الى غير ذلك من العبادات الاختراعية المحرَّمة انما هي عبادةٌ تقوية يرتضيها الباري تعالى ويتقبلها اذ هي زيادةٌ في التقوى والفضيلة . فيدخل الغش على العوام متبرقعًا باسم الفضيلة والتقوى وتراهم ذاهلين عن امرٍ جسيم وهو قصور العقل الانساني عن معرفة العبادة اللايقة بالله الا ان يعلنها لهُ بوحيٍ الهي

فهذا الغش لم يكن حادثًا في العالم بل كان الشيطان قد سبق الاكليرس اليهِ منذ القديم لاغتيال انفس المومنين وهل انهم اخذوا هذا التعليم عنهُ لا اعلم . على اننا نرى مدوَّنًا في الكتاب المقدس في سفر القضاة عن ميخا الساكن في جبل افرام كيف انهُ صاغ صنمًا من فضةٍ ليعبدهُ مع الله حال كونهِ سرقها من امهِ . ثم جعل ابنهُ حبرًا واخيرًا استاجر عندهُ غلامًا لاويًّا ليكون لهُ حبرًا والبسهُ الملابس الحبرية والاصنامية معًا حال كون اللاوي لا تجوز حبريتهُ . وكان ميخا المذكور يعبد الله على نوعٍ لم يرسمهُ الباري تعالى . وعندما اكمل اعمالهُ هذه قال الان علمت ان الله يحسن اليَّ لانهُ قد صار لي من اللاويين حبرٌ(١) والحال ان الله لا يرتضي اصلًا بعبادةٍ باطلة مثل هذه مملوءة من الآثام ولا الذي ظنهُ ميخا انهُ يرضي الله كان مما يرضيهِ تعالى ولكن

(١) قضاة ص ١٧ ع ١٣

الشيطان صوَّب لهُ هذه الاباطيل حتى اعتقد فضيلتها . فلو كان رجع الى تعاليم الكتب المقدسة لكان عرف كيف يعبد الله بالحق وسلم من مكايد ابليس . ان الروح القدس قد نبَّهنا على ذلك بفم سليمان الحكيم القايل انهُ تكون طريقٌ يظنُّها الانسان مستوية واواخرها تقود الى الموت(١)

فهذا هو حال مخالفينا يتمسكون بالعبادة الباطلة تحت اسم العبادة التقَوية . والباري تعالى لا يرتضي بعبادةٍ لم يامر بها لان موسى النبي عند ما كتب سفر الشريعة لبني اسرائيل كتب اما انت فما امرك بهِ هذا فقط اعملهُ للرب ولا تزد عليهِ شيئًا ولا تنقص منهُ(٢) وهكذا بولس الرسول يقول فلا يضلكم احدٌ بارتضايهِ في التواضع وعبادة الملايكة . الى ان يقول لا تدنوا ولا تذوقوا ولا تجسُّوا . وهذه جميعها للهلاك في استعمالها بعينهِ حسب وصايا وتعاليم الناس وتتراءى كأَن فيها حكمة فيما الزيادة العبادة والتواضع(٣) ولكن هذا كافيًا لاقناع من يريد الوقوف عند حدود الشريعة المسيحية وان ما يصنعهُ مخالفونا من العبادات الغير المامور بها من الله انما هي عبادة باطلة غير مرضية لله ولها في ذاتها طبع الخطية

(١) امثال ص ١٦ ع ٢٥ (٢) استثنا ص ١٢ ع ٣٢ (٣) كولوسايس ص ٢ ع ٢١ الى ع ٢٣

الفصل السادس عشر

في الاستحالة المزعومة

ان الكهنة مخالفينا يزعمون ان ما يقدمونهُ من الخبز والخمر في سر الافخارستيا بتقديسهم لهُ يستحيل الى مسيحٍ حي بلاهوتهِ وناسوتهِ. ولهذا كانت تقدمتهُ منهم هي عين تقدمة ذبيحة المخلص ويوجد فيها من الكفارة نظيرها

فهذه الدعوى الموهومة عندما تمكَّنوا من تصديقها وغرسها في عقول الشعب كقضيةٍ دينية انتقلوا الى تصديق النتيجة بانهُ حيثما صار الخبز والخمر مسيحًا فتقدمتهُ ذبيحة. ولما كانت ذبيحة المسيح كلية الوفاء فهذه نظيرها

ففي الفصول السابقة ورسالة الدليل تكلمنا عليها بالكفاية مع ان دحضها من البديهيات ولا يلزم البرهان على ان الخبز ليس هو لحمًا كما لا يلزم البرهان على ان الحجر ليس هو ثورًا او حمارًا لان الانسان بالطبع يدرك بطلان هذه الدعوى من اول وهلةٍ. ولكن ما قرَّرناهُ انما هو لايقاظ الساذجين الذين القاهم الاكليرس في نومٍ ثقيل وقادهم الى تصديق كل ما يموّه عليهم بهِ. وهذه السذاجة المضرَّة للانفس نبهَّنا عليها الروح القدس بفم سليمان القايل ان الرجل الساذج يصدّق كل كلامٍ والمتدرب

يتامل خطواتهِ[1] فلو كان عوام الشعب لا يصدقون كل ما تلقيهِ اليهم الكهنة من التعاليم بدون دليل ويطلبون عليهِ البرهان من نص الكتاب المقدس لبقيت الديانة المسيحية عند جميع الطوايف الى الان تتلألأُ في بهآيها القديم طبق التعاليم الرسولية مصونةً عن الخرافات التي ادخلها الاكليرس ترويجًا لاباطيلهم لا بل طلب البرهان منهم يشكم جماحهم في شوط الضلالة الى ما هو ابعد وربما قادهم الى السلوك في طريق الانجيل المستقيم

ان السيد المسيح يعلمنا بلسان داود النبي ان جسدهُ الطاهر لن يعتريهُ الفساد حتى ولا حين موتهِ ومكثهِ في القبر حيث يقول انك (يا الله) لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع صفيك يرى فسادًا[2] ولئلا يتعلل مخالفونا باننا نفسر الكتاب كما يظهر لرؤيتنا نورد لهم تفسير بطرس الرسول. فانهُ يقول نحو اليهود يا ايها الرجال اخوتنا يجب ان نكلمكم باعلانٍ من اجل راس الاباء داود انهُ قد مات ودُفِن وقبرهُ عندنا الى اليوم. فاذ كان نبيًّا وكان يعلم ان الله قد اقسم لهُ قسمًا انهُ مَن ثمر صلبه يجلس على كرسيهِ فتقدم وابصر وتكلم على قيامة المسيح انهُ لم يُترَك في الجحيم (اي القبر) ولا جسدهُ عاين فسادًا[3] فتفسير بطرس هذا

---

(١) امثال ص١٥ ع١٤ (٢) مزمور ١٠ ع١٠ (٣) ابركسيس ص٢ ع٢٩ الى ع٣١

على ظني يسلّمون لنا بانهُ لايحتاج الى الحكم عليهِ من قاضيهم الذي يلهجون بذكرهِ

فلننظر الان الى المسيح الحي الذي يزعمون وجودهُ في الافخارستيا هل لا يعتريهِ الفساد وهل تصدق عليهِ اوصاف جسد المسيح ام يطرأُ عليهِ ماكان يطرأُ على الخبز والخمر قبل تقديسهِ. ولا نقول لهم اكثر من ذلك ولا نسالهم عن شدة احتفاظهم عليهِ من التعفُّن بمدة كل خمسة ايام من السنة مدة صومهم الاربعيني ولا عما يصنعهُ الروم من تحميصهِ على النار. فهل كان جسد المسيح يحتاج الى ذلك مدة وجودهِ على الارض او في القبر وان قالوا ان التعفُّن يدخل على الاعراض فقط فنجيبهم هل كانت اعراض جسد المسيح تتعفن دون جوهرها وتحتاج الى التنشيف او الشوآء على النار

ولما نظرنا استيلآء الفساد على ما يقدسونهُ كاستيلآئهِ عليهِ قبل التقديس جزمنا بانهُ لم يتغير عن حالتهِ الخبزية وانهُ لا يمكن ان يكون هو عين جسد المسيح الطاهر بل تذكارًا لهُ حسبما يعلّمنا الكتاب المقدس. وهذا امرٌ واضحٌ يفهمهُ كل انسانٍ ولو كان على غايةٍ من السذاجة

ان اعظم اعمال الباري تعالى هو سر التجسد واتمام سر الفدآء لاتحاد اقنوم الكلمة الازلية بالانسان المخلوق. واما دعواهم بالاستحالة فهي اعظم جدًّا. لانهم يجعلون اتحادًا بين اللاهوت

والناسوت في الجمادات العديمة الحس والحيوة كالخبز والخمر وناهيك ما في ذلك من احتقار اللاهوت

ولكن الاغرب من هذا زعمهم ان كلاًّ من الخبز والخمر على حدتهِ يكون مسيحًا كاملاً وان الواحد هو عين الاخر في حالة انفصالهما. الامر المستحيل كيانهُ او وقوعهُ في العقول السليمة. لانهم بزعمهم هذا قد سلبوا الحدود الذاتية وصار ممكنًا عندهم ان يكون بطرس هو ذات بولس او بولس ذات بطرس ويوحنا او ان الانسان يكون حمارًا او حجرًا اذ قد وجد عندهم قاعدة لابطال الحدود ويمكنهم ان يخلطوا الاقانيم الثلثة بحيث تكون اقنومًا واحدًا والواحد هو عين الاخر. وهكذا نقول في اختلاط المعاني لربما التعليم الذي يقدمونهُ لنا يكون واقعًا تحت قانون الاستحالة وتغيّر جوهرهُ دون اعراضهِ فنسمعهُ ونفهمهُ منهم على غير حقيقتهِ اذ لا عمدة على ما تحققهُ لنا حواسنا من ظواهرهِ بسبب الاشتراك العام في حقايق الاشيآء. وحينئذٍ لا يعود لنا ثقةٌ بالوقوف على حقيقة شيءٍ مما نراهُ ونسمعهُ. فالعاقل يلزمهُ التبصر بذلك. وان السيد المسيح يريد ان يجعل المومنين جسدهُ السري لكونهِ راسهم لكي يستأهلوا الحيوة الابدية لا الجمادات العديمة الحس والحيوة ان تصير الهة ليعبدها الناس. وفي هذا كفايةٌ لذوي البصيرة ان يعلموا ما في هذه الدعوى من التجديف والشرك بالله

الفصل السابع عشر

في ان سر الافخارستيا الذي يستعملهُ مخالفونا لم يكن حسب رسم المسيح

ان الكتب المقدسة تعلمنا ان سر الافخارستيا لا يفيد انفس المومنين الا اذا استعملوهُ كالواجب وتناولوهُ باستحقاقٍ والا فياخذون بذلك دينونةً لانفسهم

ان بولس الرسول عندما عرف استعمالهُ من كنيسة قرنثية على غير الواجب كتب لهم توبيخًا يقول انتم الان تجتمعون جميعًا ليس هذا أكلاً بعشية الرب لاني انا قد سلمت اليكم ما قبلتهُ من الرب ان الرب يسوع في تلك الليلة التي أُسلِم فيها اخذ خبزًا وكسر وقال خذوا فكلوا هذا هو جسدي الذي يُكسَر (وفي الاصل اليوناني المكسور) عنكم فافعلوا هذا لذكري. الى ان يقول وهذه الكاس هي العهد الجديد بدمي فافعلوا هذا كلما شربتم لذكري. انكم كلما اكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكاس فانما تذكرون موت الرب الى يوم مجيئهِ. ومن ثمَّ يقول فليمتحن الانسان نفسهُ (ولم يقل يمتحنهُ القسيس) وهكذا ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس لانهُ من اكل وشرب وهو غير مستاهل فانما ياكل ويشرب دينونةً لنفسهِ(١)

(١) قرنثية اولى صـ١١ عـ٢٠ الى عـ٢٩

فالرسول لم يسمح باستعمال السر كمشيئتهم ولا اعطاهم ترتيبًا من عندهِ بل حتم باستعمالهِ حسبما وضعهُ رب الشريعة قايلاً اني سلمتكم ما تسلمتهُ من الرب موضحًا لهم الكيفية عينها ولم يسند تعليمهُ الى الكنيسة او المجمع

فلننظر هل يجريه مخالفونا كوضع رب الشريعة. اننا نراهم لا يتخذون خبزًا مألوفًا. بل الشرقيون منهم يتخذون اقراصًا صغيرة ويختمون بوسمها في وجهها بطابعٍ موسوم فيهِ بعض احرف يونانية ربما القسوس لا تفهمها. ولا يكسرونها كرسم المسيح بل يفصلون منها القطعة الموسومة بآلةٍ حديدية يسمّونها حربة. ثم يفصلون بها جملة اجزاءٍ غيرها. وعند اخذ كل جزءٍ يتلون عليهِ كلامًا يشير الى ان القطعة الاولى تختص بالسيد المسيح. وما بقي فمنهُ على اسم العذراءِ المباركة ومنهُ على اسماءِ بعض القديسين او المليكة او من يذكرونهُ من الاحياءِ والموتى من الشعب في قداسهم. ويصفّون هذه الاجزاءَ على صحيفةٍ من فضة مموَّهة بالذهب. ثم يسكبون خمرًا في كاسٍ مثلها وبعد هذا يقدسون الاجزاءَ والخمر وبعد التقديس يمزجون الخمر بماءٍ سخن. الامر الذي يرفضهُ اللاتينيون ويوجبهُ الروم الكاثوليكيون المتحدون معهم كشخصٍ واحد. وكل واحدٍ من الفريقين يعتقد استحالة جميع الاجزاءِ مع الخمر الى مسيحٍ كامل وان في كلٍّ من الخبز والخمر على حدتهِ يوجد المسيح كاملاً والواحد هو عين

الاخر واما الروم الغير الكاثوليكيين فنظرًا الى اجزآء الخبز يعتقدون ان القطعة الموسومة هي وحدها التي تستحيل الى مسيحٍ وما عداها فالى من أُخِذَت على اسمآيهم. وكنت اظن هذا تهمةً يلقيها عليهم الكاثوليكيون ثم حققها لي بعض كهنتهم. فلا اعلم من اين دخل عليهم هذا التعليم لانهم من بعد افتراقهم عن اللاتينيين لم يتطرَّقوا الى تعاليم حديثة نظيرهم بل وقفوا على ما كانوا وصلوا اليهِ معهم

واما نظرًا الى توزيع السر على الشعب فيخلطون الخبز مع الخمر الممزوج بالمآء السخن ويعطونهُ للتناولين بملعقةٍ مخلوطاً. وبذلك خالفوا ترتيب المسيح في سبع قضايا. اولاً حتمهم باستعمال الطابع ومنعهم الخبز الاعتيادي. ثانيًا عدم كسرهم الخبز بعد التقديس. ثالثًا تفصيلهُ بالحربة. رابعًا مزجهم الخمر بالمآء السخن. خامسًا خلطهم الخبز والخمر سويةً ومنع اعطآء الخبز وبعدهُ الكاس. سادسًا مناولتهُ بالملعقة لا بيد المتناول. سابعًا عدم استعمالهِ للذكر حسب تعليم الرسول بل لمغفرة الخطايا وللحيوة الابد كما يقول الكاهن عند المناولة. فهذا ما كان من تصرف الكنايس الشرقية

واما الغربيون ومن تابعهم في استعمال الفطير فيستحضرون على عددٍ كثيرٍ من البرشان المستدير كالمستعمل في ختم الرسالات موسومًا بصورة المصلوب فيقدسونهُ ويحفظونهُ في الهيكل ضمن

انآءٍ لايق بدون ان يمسَّهُ خمرٌ البتة. فعند ما يقدس الكاهن في يومٍ اخر ياكل ويشرب كل ما كان قدسهُ. واما الحاضرون من الشعب لمناولة السر فيناولهم بيدهِ في افواههم لكل واحد برشانةً صحيحة من تلك المستديرات المحفوظة في الهيكل بدون خمرٍ ويقول عند ذلك كالشرقيين عبد الله فلان يتناول جسد المسيح ودمهُ لمغفرة الخطايا حال كونهِ لم يناولهُ سوى البرشانة الناشفة الفاقدة جميع الصفات الخبزية

وفي عملهم هذا قد افسدوا سر الشركة المقدسة وهدموا اركانهُ بالكلية. اولاً بعدم اشتراك القس مع الشعب لانهُ لا يعطيهم مما قدسهُ شيأً. ثانيًا بمنع اشتراك الشعب مع بعضهِ لعدم كسرهِ الخبز لانهُ يناولهم صحاحًا. ثالثًا بمنعهِ الكاس عنهم الذي صيَّر السر ناقصًا

وقد عللوا وجوب ما يعملونهُ بانهُ لما كان الجسد حيًّا كان لابد من احتوآيهِ على الدم ولذلك تكون مناولة الخبز وحدهُ كافية عن الشكلين. فلا يخفى على ذوي البصيرة ما في حجتهم هذه من السخافة لتضمنها الطعن على ما عملهُ المسيح ورسلهُ بتوزيعهم الشكلين كانهم يجهلون ما عرفهُ اللاتينيون في الاجيال المتاخرة وكان اعطآوهم للشكلين معًا عبثًا وان اللاتينيين اصلحوا غلطاتهم. فكل عاقلٍ لا يسعهُ ان يقول الا ان دعواهم هذه هي عين الخروج عن الديانة المسيحية والاحتقار للتعاليم الانجيلية

وحيث اتضح ان السر المذكور جارٍ في هذه الكنايس على نهجٍ مغايرٍ بكليتهِ لما رسمهُ السيد المسيح وعلّمت بهِ رسلهُ الاطهار وقد اختلّت اركانهُ وتغيرت رسومهُ لم يبقَ هو عين السر المرسوم من المسيح بل صار إحداثًا اختراعيًّا من البشر لا يفيد انفس المتناولين منهُ شيئًا ومخترعوهُ ياخذون لانفسهم اعظم دينونةٍ لانهم حلوا وصايا الله وعلّموا الناس غيرها من التعاليم التي سمّاها المسيح العبادة الباطلة . نسالهُ تعالى ان يبعدنا عن ذلك ويثبتنا في تعاليمهِ انهُ على كل شيءٍ قدير

الخاتمة

في ذكر ما يحتال بهِ الاكليرس ليخدع الشعب

انهُ لمن المعلوم ضعف الطبيعة البشرية وقابليتها للسقوط في فخاخ المحتالين . والكتاب المقدس يخبرنا عن ابوَينا الاولَين اللذين خُلقا على غاية الطهارة ولم يلبثا حتى وقعا في فخ ابليس الحية العتيقة واستوجبا الموت مع ذريتهما . فهذا ما يُلاحَظ بهِ عموم الانسان

واما ما يلاحظ بهِ الخصوص فنرى الغير المتروّضين بعقولهم ساقطين في الخديعة لتصديقهم كل ما يقع تحت حواسهم متعصبين لحفظ ما تلقّوهُ عن اسلافهم ولو كان قبيحًا في ذاتهِ ولا

يهمهم احتسابهم مع الجهلة الغافلين . وهم يجتهدون في ان يتركوا لذريتهم ما ورثوهُ من خرافات اسلافهم كما ان الاولاد يحتفظون على هذه المتروكات . واذا وُجِد من يجتهد في تنويرهم واخراجهم من ظلمة الجهل يعارضونهُ بالمماحكات ويقابلونهُ على فضلهِ بالبغضاء والعداوة ويقذفونهُ ويشنّعون عليهِ ظلمًا وعدوانًا . ولهذا كان من اصعب الاعمال تنوير الجهلة المتعصبين ومن ثمَّ ترى الاولاد ينشأُون على مذهب آبائهم ان نصارى فنصارى او يهودًا فيهود او مجوسًا فمجوس لان الساذج اذا كان سريع التصديق فمحبتهُ واحترامهُ لوالديهِ وكونهُ تربّى في حجرهما يجعلهُ يصدّق ما يلقيانهِ اليهِ اكثر ممن سواهما . والاحترام المذكور هو سبب تصديق الشعب كل ما يلقيهِ اليهم روساءُ شريعتهم لانهم لا يتخيلون رذيلة الكذب في الاشخاص المحترمين ولو كانت اكثر صفاتهم

هذا وان كثيرين من الاكليرس لايقانهم غفلة العوام يهملون الاحتراس من العواقب الفاضحة فيسقطون فيها . والشعب عوضًا عن استيقاظهِ من غفلتهِ لياخذ في اسباب الوقوف على حقيقة ما استتر عليه من قبايحهم لكي يجتنبهم اذا تحقق لديهِ حالهم ويختار لنفسهِ مرشدًا حكيمًا ليبريه من غشاوة البصيرة حتى يرى الاشياءَ على حقايقها يجتهد في تستير وتبرير ذاك المفضوح بذلك ويزيدهُ جماحًا في ميدان الفساد وطمعًا في غفلة العوام . فيُسهّل الطريق لاسافل الناس ان يزداد دخولهم في هذه الزمرة

اذ يعلمون ان انخراطهم في سلكها يزيل موانع نوالهم مشتهياتهم وينا لونها مع الراحة والاحترام . فلو كان يُفحَص مدققًا عن احوالهم وتصرفاتهم باعينٍ مفتوحة نحوهم لم يكن يدخلها الا افاضل الناس . واما الان فترى كثيرين من رعاع الشعب ومن الكسالى القاصرين عن تحصيل المعاش يلتجئُون الى هذه الصناعة التي يتلخص نذرهم فيها انهم يعيشون من اتعاب غيرهم ويسابقون الايتام والارامل على متروكات مورثيهم ويصلُّون عن الشعب بالثمن

اما من جهة تعاليهم وتعويجها فقد تكلمنا عليها بالكفاية ولكن هنا نورد بعض ما يصنعونهُ تمويهًا على الشعب لتمكين خديعتهم من الامور المبهرجة التي ليست من روح شريعة المسيحيين المامورين ان يعبدوا الله بالروح والحق

ان الاسكندر المكدوني اشار عليهِ معلمه ارسطوطاليس ان يجعل لعساكرهِ ملابس غير مالوفة للناس لان هذا مما يدهش الساذجين ويخضعهم للاطاعة . واهالي اميركا عند فتوحها حينما نظروا فرسان الاوروبيين ظنوا ان الفارس والفرس هما انسانٌ واحد لعدم معرفتهم الخيل قبلاً فارتعبت قلوبهم خوفًا وخضعوا لمحاربيهم بدون عناءٍ لان الايهامات تستعبد الساذجين اكثر مما تستعبدهم نيران الحروب

فزمرة الاكليرس ارادت ان تقوي سلطنة ايهاماتها الباطنة

بايهاماتٍ خارجية مثل هذه بصيرورتها ذات اشكال هايلة غير مالوفة . ولهذا اخترعوا قواويق كبيرة وقلانس طويلة وملابس مختلفة واغطية لروسهم متنوعة الاشكال وجميعها ذات الوانٍ مقتمة ومناطق من جلود او من حبال معقدة وسمَّوها الثوب الملايكي ترفيعًا لمقامهم . وبعضهم من يرخي شعورهُ بتمامها وبعضهم من يترك هالةً في راسهِ من الشعر الطويل يسميها اكليلاً تعظيمًا لشانهِ . ومنهم من يحمل عكازًا فالبعض يجعل في راسها تمثال حيةٍ اشارةً الى الحية التي رفعها موسى النبي ليشفي كل من ينظر اليها . والبعض يجعل في راسها شبه عصا هرون المفرعة اشارةً الى خلافتهِ عنهُ في الحبرية . وهذه العصا يحملونها في نوبة تكهينهم اذ يلبسون ثيابًا فاخرة مصنوعة من الخز والديباج ويضعون على روسهم تيجانًا كالملوك مصوغةً من المعادن الثمينة ومرصعة بالجواهر الفاخرة فبذلك يدهشون ابصار الشعب ويوهمونهم بكونهم ممتازين عنهم برفعة المقام وسموّ المعرفة حال كون كثيرين منهم من رعاع الناس لا يفقهون شيأً

وليس هذا كل ما يصنعونهُ من عدم اللياقة المسيحية بل يقسمون انفسهم الى مراتب اعلى وما دونهُ . فيسجد الادنى للاعلى منهُ وينعتهُ بكلية الشرف والقداسة ويلثم يدهُ او رجلهُ كما هو يدَّعي السيادة على من دونهُ ومن دونهُ يدَّعيها على الشعب . وربما نعتوا كبيرهم باوصافٍ محرمة عندما يضعونهُ في منزلة الربوبية

ويصنعون بيارق وصلبانًا مغشاة بالذهب وتماثيل او تصاوير من تقدمهم بهذه الوظايف زاعمين انهم بقداستهم وحصولهم لا محالة في السماء يشفعون فيهم ويدورون فيها بزفافٍ حافل يسمونهُ زياحًا ويشعلون المصابيح ويطلقون البخور امامها مع التراتيل بالالحان. والشعب يقابلها ساجدًا مكشوف الرووس غالبًا وهم حينئذٍ لابسون تلك الملابس الغريبة التي يصورون السيد المسيح والقديسين لابسين نظيرها ليظهروا للشعب مشاكلتهم لهم. وربما صوَّروا بعض قديسين على صورةٍ لم يخلق الله مثلها كتصويرهم راس كلب على جسم انسانٍ يسمونهُ القديس خريسطوفورس ويقدمون لهُ انواع العبادة اذ يقبّلونهُ ويسجدون امامهُ ويشعلون لهُ الشموع ويطلقون البخور ويلتمسون شفاعتهُ. فهل يليق بالمسيحيين الاعتقاد بوجود العقل النطقي والقداسة في ادمغة الكلاب. اين هي عصمة كنايسهم من الغلط. وهل يليق بكنيسة المسيح ان يُصنَع فيها هذا. وهل يفرق ذلك شيئًا عما نظرهُ حزقيال النبي(١) مما يصنعهُ بنو اسرائيل في بيت الرب. نعم انهُ يوجد فرق واحد ان اوليك كانوا يستحون ويفعلون هذا خفيةً واما الشعب المفتدَى بدم المسيح فيفعلهُ جهرًا بدون خوفٍ من الله. ولنقتصر على هذا ونترك الرد على ما يعللونهُ من امر ملابس هرون وعن دعاويهم بحقوق العشر من الشعب نظير سبط

(١) حزقيال ص٨

لاوي الذي لم يكن لهُ ميراثٌ في الارض حال كون الاكليرس يملك اكثر مما ملكت جميع الاسباط. وذلك طلبًا للاختصار

وارجو من المطالع ان لا يتخذ شرحي بمنزلة قذف الخصم وتنديدهِ بل لقصد الانتباه من الغفلة والاخذ في اصلاح ما قد فسد حتى لا تكون الشريعة المسيحية هزءًا وعارًا للامم بعد كونها في ذاتها هي الشريعة الفضلى التي يجب ان نعبد الله فيها بالروح والحق لا كما تقدم بيانهُ. وان الشعب مع الاكليرس المرؤوسين ينتبهون من رقادهم ويخلعون من اعناقهم النير الحديدي الذي ربطهم تحتهُ الروساء طلبًا لسيادتهم ومجدهم لا لمجد الله. لان المسيح جعلنا احرارًا واشترانا لذاتهِ لا للروساء. وكيف يكون الاكليريكي عبدًا للاساقفة ومن اين تحق لهم هذه العبودية الظالمة. فان الاسقف والبطرك والقسيس جميعهم تحت وظيفةٍ واحدة وهي التبشير والتعليم وكلهم اخوة وافضلهم اجهدهم في اتمام وظيفتهِ لا من اخذ لنفسهِ اسمًا عظيمًا

فنسالهُ تعالى ان يرسل نعمة روحهِ القدوس الى قلوبهم ليعرفوا طريق الانجيل المستقيم ويبتعدوا عن اباطيلهم ويتمسكوا بالحق لكي تكون لهم السعادة الابدية. امين

طبع في بيروت سنة ١٨٥٢ مسيحية